الأصحاح الثامن

١. "وقال لي الربُّ: خُذ لنَفسِك لوحًا كبيرًا، واكتُب عليه بقلم إنسان: لمَهير شلاَل حاش بَزَ".

إن ظروف هذا الأصحاح هى نفس الظروف التي تكلّم الرب فيها مع إشعياء النبي في الأصحاح السابق من جهة مؤامرة رصين ملك أرام وفقح بن رمليا ملك إسرائيل ضد يهوذا.

وقال لي الرب:

إن حديث الرب مع خادمه يكاد يكون متصلاً. فإن الرب يسر بخائفيه ولهم يعلن إرادته ولا يكتم عنهم سرًا، والخادم الأمين بالنسبة لربنا كجهاز استقبال مرهف الحساسية يستقبل في كل ظرف كلمات وتوجيهات وإعلانات من أجل نفسه ومن أجل الخدمة التي أؤتمن عليها.

لقد أرسل الرب إشعياء لآحاز الملك قبل ذلك وقال له: "لا تخف ولا يضعف قلبك"... ثم كلمة أيضًا قائلاً: "اطلب لنفسك آية وعمق طلبك إذا شئت" ...

وها الرب هذه المرة يكلّم الشعب بطريقة أخرى قائلاً لإشعياء: "خذ لنفسك لوحًا كبيرًا واكتب عليه بقلم إنسان لمهير شلال حاش بز" وهكذا فعل إشعياء.

لوحًا كبيرًا... وقلم إنسان:

إن زكريا الكاهن أبو يوحنا المعمدان طلب لوحًا ليكتب لأنه كان صامتًا لا يتكلم... فما بال الرب يطلب من إشعياء أن يكتب على لوح كبير ويضعه أمام الشعب!

أليس لأنهم لم يسمعوا الكلمة التي تكلم بها الرب بفم أنبيائه القديسين مرارًا... وتكرارًا؟

أليس من أجل ذلك أيضًا بعد ما كلم الرب الشعب بفم موسى النبي وأخرجهم بيده وأطعمهم في البرية ورغم ذلك كانوا يتقسون ويصلبوا رقابهم... فكتب لهم الوصايا

على ألواح حجر تتناسب مع قلوبهم... لأنهم لو كانوا أطاعوا صوت الله فما حاجتهم إلى كلمة مكتوبة على حجر.

إن مرات كثيرة يلزم الله خدامه بالسكوت على أن يشيروا فقط إلى الكلمة المكتوبة أمام الشعب... لقد قال الرب مرة لحزقيال النبي: ادخل مخدعك وألصق لسانك بحنكك (حز ٣: ٢٤، ٢٦).

وقال أيضًا بولس الرسول: "منعني الروح من أن أتكلم".

ومرة أخرى يقول: "تكلم لا تخف لأن لي شعبًا كثيرًا في هذه المدينة".

ما أجمل أن يتكلم الخادم حينًا ويصمت حينًا آخر ولكن بحسب قول الرب وبحسب إرشاد روحه القدوس.

لوحًا كبيرًا:

فإعلانات الله يجب أن تكون واضحة أمام المخدومين.. وعلى أوسع نطاق وهنا أيضًا تبدو مسئولية النبي كما قال الرب أيضًا لحزقيال: "جعلتك رقيبًا على الشعوب" (حز ٣٣).

إذًا لابد من اللوح الكبير والوضوح في الإنذار والتوبيخ بكل أناة وتعليم كما يقول الرسول بولس.

واكتب عليه بقلم إنسان:

إن ربنا في حديثه معنا لا يكلمنا بلغة الملائكة ولا يخاطبنا بكلام أعلى منا... ولكن في اتضاعه يتنازل ويكتب لنا بقلم إنسان... يتكلم معنا وهو قريب منا ومتنازل إلى مسكنتنا.

ويكفي أن الرب بعدما كلّم الآباء بهذه الطرق الكثيرة والمتنوعة كلمنا في ابنه ودُعيَ "ابن الإنسان" وصار ليس قريبًا منا فقط بل ومتحدًا أيضا بطبيعتنا.

أما العبارة التي موضوع الإعلان "**مهير شلال حاش بز**" فهى أربع كلمات معناها "يعجل الغنيمة ويسرع النهب" وهى إشارة صريحة لتتميم كلمة الله السابقة في

الأصحاح السابق. من جهة هجوم ملك أشور على مملكتي إسرائيل وأرام ومجيئه بسرعة وتخليص يهوذا من أيديهما.

وكما قال الرب لآحاز: "إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا".

هكذا أيضًا إن لم يكن لهذا الشعب إيمان بالله فالذي يصيب مملكة إسرائيل بسبب انحرافهم وعدم إيمانهم سوف يصيب يهوذا أيضًا إذا لم تثبت في الإيمان.

٢. "وأن أُشهِدَ لنفسي شاهدين أمينين: أوريا الكاهن، وزكريا بن يبرخيَا".

على فم شاهدين أو ثلاثة شهود تقوم الشهادة (٢ كو١٣: ١) قال الرب في أيام إيليا: "أبقيت لنفسي سبعة آلاف رجل". فربنا يبقى لنفسه شهودًا في كل زمان يشهدون لمحبته ويشهدون لوصاياه ويشهدون ضد العالم وضد فجور الناس مثل نوح البار وأيوب الصديق ويوسف العفيف والرسل الأطهار... وكل تلاميذ الرب "تكونون لي شهودًا".

أما أوريا فهو الكاهن المؤتمن في أيام آحاز وكان يوقد محرقة الصباح وتقدمة المساء ومحرقة الملك وتقدمته مع محرقة كل شعب الأرض وتقدمتهم وسكائبهم... (٢ مل ١٦). أما الشاهد الآخر فهو زكريا بن يبرخيا وهو ليس كاهنًا ولا نبيًا بل إنسانًا عاديًا ولكن بشهادة الله نفسه "أمينًا" وهنا تتعظم نعمة إلهنا التي تبقي بقية الشاهدة من المعروفين ومن المجهولين على حد سواء.

٣. "فاقتربت إلى النبيّة فحبلت وولدت ابنًا. فقال لي الرب: ادع اسمه مَهَير شلال حاش بَزَ".

لم يكتف الرب بالإعلان السابق "اللوح الكبير والكلام المكتوب" فليست طريقة من الطرق تشبع رغبة إلهنا في إعلان إرادته إلا تجسد الحقيقة أمام الإنسان... هكذا أراد الله أن يكون هكذا فأعطى لإشعياء أن ينجب ولدًا ويسميه بذات الاسم الذي كتبه على اللوح ولم يصبح مجرد كتابة ولا كلام ولكن شخص بذاته يحمل الاسم ويحمل الوعد أيضًا.

هكذا أيضًا مع الفارق فإن الكلمة المكتوبة قديمًا أعلنت الله للناس وأعلنت وصاياه وقصده ومشيئته من جهة الخلاص إلى أن صار الكلمة جسدًا فرأينا مجده وقيل أن الحياة أظهرت ودُعيَ اسمه يسوع أنه يخلص شعبه من خطاياهم.

٤. "لأنه قبل أن يَعرف الصّبي أن يدعو: يا أبي ويا أمي، تُحمَل ثروة دمَشق وغنيمة السَّامرة قُدَّام ملك أشور".

وهنا يجعل الله مواعيده ثابتة ويتوسط بهذه الطريقة لعل الشعب يثق في مواعيد الله أي قبل سنة أو سنتين على الأكثر يتحقق وعد الله من جهته ضد الشر على يهوذا أو خراب أرام وإسرائيل.

٥. "ثم عاد الرب يُكلِّمني أيضًا قائلاً:

٦. لأن هذا الشعب رَذَلَ مياه شيلوه الجاريَة بسُكُوتٍ، وسُرَّ بِرَصين وابن رَمَليا".

يبدوا أن علامات عدم الإيمان بدت واضحة في ملامح هذا الشعب رغم كثرة إعلانات إلهنا ورغم تعدد الطرق التي توسط بها الرب والآيات التي أظهرها نحوهم.

إن كثرة مراحم الرب إلهنا إن لم تكن سببًا للتوبة والرجوع إلى الله تصير علة دينونة بالأكثر... والذي لا يستفيد من لطف الله وإمهاله وطول أناته يجعل نفسه مستحقًا للعقاب الأبدي.

لذلك عاد الرب فكلم إشعياء أيضًا كلمات قضاء على هذا الشعب قائلاً:

"لأن هذا الشعب رذل مياه شيلوه الجارية بسكوت".

شيلوه:

هى مكان عبادة رب الجنود وتقديم ذبائح منذ القديم... فقد صعد إليه ألقانه وحنة أم صموئيل من سنة إلى سنة ليسجدا ويذبحا للرب وفيها نصب يشوع خيمة الاجتماع (يش ١٨: ١)، (١ صم ١).

ويقول عنها إرميا النبي: "اذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه الذي أسكنت فيه اسمى أولاً.." (إر ٧: ١٢).

شيلوه = شلوام: وهى اسم عبري تعني سلام أو خلاص ويذكر نحميا النبي "وباب العين رمَّمه شلُّون بن كلحوزة رئيس دائرة المصفاة. هو بناه وسقفه وأقام مصاريعه وأقفاله وعوارضه، وسور بركة سلوم عند جنينة الملك إلى الدَّرج النازل من مدينة داود" (نح ٣: ١٥).

إذًا هى باختصار:

١. مكان العبادة لرب الجنود وتقديم الذبيحة.
٢. مكان الخيمة واجتماع الله بشعبه وحلوله في وسطهم.
٣. المكان الذي يسكن فيه اسم الرب إلى الأبد.
٤. السلام والخلاص.
٥. هى بركة الملك داود.

وقد اتضحت هذه المعان كلها عندما أمر الرب يسوع الرجل المولود أعمى أن يذهب ويغتسل في بركة سلوام فاغتسل وأبصر. وهو رمز غسيلنا في مياه المعمودية بقوة الروح القدس وتجديد خلقتنا.

فإن رفض هذا الشعب مياه سلوام إنما يكون رفض هذه المعاني جميعها... رفض السلام والخلاص والعبادة والذبيحة وخيمة الاجتماع وكل ما فيها واسم رب الجنود ورعاية الملك داود وبالجملة قد رفضوا.

رفض الانقياد لروح الله.. لأن المياه الجارية بسكوت هى ماء الراحة رمز الروح القدس الذي يقود للرب النفوس التي يرعاها...

وليس هذا فقط ولكنهم... **سروا برصين وابن رمليا**... وغالب الظن أن كثير من الشعب رحبوا بأخبار اقتراب ملك أرام وملك إسرائيل من مملكة يهوذا... فرحوا باقتراب عبادة الأوثان والزنى والنجاسات وانتهاء واجبات العبادة والذبائح وكل هذه الأمور التي عبّر عنها الرب بقوله: **"مياه شيلوه"**.

هؤلاء يرمزون للذين يشتهون العالم في قلوبهم ويسرون بأباطيله أو ربما يكون هذا شعور بعض الشعب بقيود الحياة مع الله وانغلاق مملكة يهوذا وعدم اختلاطهم بالأمم وعدم تعاملهم مع العالم... ففرحوا عندما سمعوا أن أسرار الحياة مع الله وشيكة الوقوع وأنهم سيفلتون ويعتقون من العبودية لله والخضوع لوصاياه...

وهؤلاء يمثلون الذين يعيشون في الكنيسة بضيق وتذمر ويتمنون لو يكونوا للعالم ولكنهم لا يجهرون برأيهم خوفًا من المجتمع أو عدم وجود الفرصة للشر.

٧. "لـذلك هـوذا السيد يُصعِد عليهم مياه النهر القوية والكثيرة، ملك أشُّور وكل مجده، فيَصعَد فوق جميع مجَاريه ويجري فوق جميع شُطوطه".

إن جزاء الذين يرفضون روح الله الوديع الهادي "مياه شيلوه" يصعد عليهم روح العالم الصاخب الهائج "ملك أشور".

هكذا يشبه الرب ملك أشور بمياه نهر قوية وكثيرة متدفقة في فيضان وثورة تغرق وتهلك وتهدم ولا تشفق.

وهكذا هو العالم للذين يشتهون ويطلبون أن يرتووا منه ويسروا به ويتركوا مياه الراحة ويرذلوا شيلوه ويجرفهم العالم في تياراته ويغرقهم في لججه فلا ينجون فالذين يشتهون شهوات الجسد ويسرون بها... يصعد عليهم الشهوات في طوفان تحطم حياتهم وتفني شبابهم وتذهب نور عيونهم مثل شمشون الذي اشتهى الفلسطينيين فغرق في طوفان الفلسطينيين وذهبت عنه قوته وفقئت عيناه.

ومثل الابن الضال الذي رذل الحياة في بيت أبيه واشتهى الحرية الكاذبة وسر بالعالم والأصدقاء... فغرقه العالم في الكورة البعيدة وسلب ثروته وصار يشتهي خرنوب الخنازير وكاد ينتهي لو لم تدركه أفكار التوبة ومراحم الآب.

٨. "ويندَفق إلى يهوذا. يفيض ويَعبُرُ. يَبلُغُ العُنُقَ. ويكون بَسط جناحيه ملء عَرض بلادك يا عمانوئيل".

وقال الرب: "بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة وبمراحم أبدية سأجمعك" باستحقاق وعدل استحق الشعب أن يندفق إليه ملك أشور مثل نهر هائج لأنهم رذلوا الرب إلههم...

وهكذا يدخل ويفيض ويعبر ويبسط جناحيه ويتسلط.. ولكن يقول "**يبلغ إلى العنق**" أنه لا يغرق إلى النهاية ولا يهلك إلى التمام لابد أن يترك بقية استبقاها الرب... ونفوس المخلصين الناجين تصرخ "أترى جازت نفوسنا الماء الذي

لا نهاية له مبارك الرب الذي لم يسلمنا فريسة لأسنانهم". إن تعبير "يبلغ إلى العنق" يعطي رجاء حتى للذين وصلت مياه العالم في حياتهم إلى العنق... مازال فيهم نسمة حياة فلهم في صليب ربنا رجاء مادام أبقى لهم حتى اليوم بقية.

ويكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل.

صحيح أن ملك أشور سيأتي ليهلك ويهدم لكنها حتى في حال العقاب هى بلاد عمانوئيل وهو سيخلص مختاريه وينقذ أولاده... وحتى في داخل الطوفان سيحوط بأولاده وهو معهم لأن اسمه عمانوئيل.

إيمان البقية:

٩. "هِيجُوا أيها الشعوب وانكسروا، وأصغي يا جميع أقاصي الأرض. احتزموا وانكسروا! احتزموا وانكسروا.

١٠. تشاوروا مشورة فَتَبْطُل. تكلّموا كلمَة فلا تقوم، لأن اللَّه معنا" (عمانوئيل).

إن كان إيمان آحاز بدى هكذا ضعيفًا مهتزًا حتى رجف قلبه كرجفان شجر الوعر قدام الريح... وإن كان هكذا أيضًا إيمان شعبه وقلوب شعبه... إلا أن هناك بقية من لم تنتسب للملك كشعبه لكنها كانت منتسبة للَّه "**كشعب اللَّه**" هذه البقية عجيبة في إيمانها قوية في ثباتها... وقد كشف إشعياء في هذه الأعداد فكر هذه البقية وإيمانها.

"هيجوا أيها الشعوب وانكسروا واصغي يا جميع **أقاصي الأرض**".

ويذكر داود النبي: "لماذا ارتجَّت الأمم، وتفكّر الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معًا على الرب وعلى مسيحه ... الساكن في السموات يضحك. الرب يستهزىء بهم" (مز ٢: ١-٤).

وأيضًا "إن قامت عليَّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن" (مز ٢٧: ٣)، "كل آلة صورت ضدك لا تنجح" (إش ٥٤: ١٧).

هذا هو إيمان البقية العجيبة يسمعون بحروب وأخبار حروب ولكن عمانوئيل في وسطهم... مثل إيمان أليشع النبي في وسط جيش أرام، ومثل إيمان موسى عندما

سعى فرعون وراء إسرائيل، ومثل إيمان أستير عندما تآمر هامان على شعب الله ليفنيهم...

إذًا هم يسخرون من كل قوى بشرية وكل تهديدات الناس لأن إحساسهم الوحيد بوجود عمانوئيل "الله معنا".

وهيجان الأمم وثورتهم وتهديداتهم لا تساوي شيء بل أن نظرة الإيمان تراهم ينكسروا مهما هاجوا، ويتدجروا مهما تقدموا لأن عمانوئيل هو سر نصرة أولاد الله.

وهناك أيضًا ما هو أعظم أن عين الإيمان ترى الرب ممجدًا، وأن أقاصي الأرض ستسمع بخلاص إلهنا كما سمعت الشعوب القديمة أن الرب غرق المصريين وأنه بيد قويه وذراع ممدودة خلص شعبه وأنقذهم من كور الحديد..

احتزموا وانكسروا.. احتزموا وانكسروا

ها قلب داود الصغير لم يضعف أمام التهديدات لأن اسم الرب - رب الجنود - كان قوته وسلاحه وترسه وهو قبل أن يتقدم لجليات رأى بعين الإيمان وقال لشاول الملك إن هذا الأغلف يكون مثل الأسد والدب والتنين اللذين قتلتهم.

فالعدو الذي يظهر قويًا وجبارًا أمام عديمي الإيمان كم يبدو ضعيفًا ومنكسرًا أمام ذوي القلوب المؤمنة بعمانوئيل "أي وجود الله معنا".

"تشاورا مشورة فتبطل: تكلموا كلمه فلا تقوم لأن الله معنا".

ألم يبطل الرب مشورة أخيتوفل الحكيم الذي أشار بها ضد داود الملك.

إن أولاد الله في كل زمان يؤمنون أن الله يبطل مشورة أهل العالم ومؤامراتهم وشرهم ونميمتهم وتهديداتهم.

هكذا عاشت الكنيسة في أجيالها تتحدى مشورة العالم ومؤامراته وتقول لهم "تشاورا مشورة فتبطل... تكلموا كلمه فلا تقوم" ماذا عمل نحميا عندما عرف أن الأعداء تآمروا أن يأتوا ويحاربوا أورشليم ويعملوا بها ضررًا..؟ "فصلينا إلى إلهنا وأقمنا حرسًا" وعلم نحميا في قلبه أن الرب يفشل مؤامرة الأعداء ويبطل مشورتهم.

أيضًا أن إيمان هذة البقية بكلمة الرب عجيب حقًا... هم يؤمنون أن الله تكلم نحو أورشليم بالخير ونحو أولاده بالخلاص.. وأن الله ليس إنسان فيكذب... لقد تكلم

الله فى نفوسهم ... ماذا بعد ذلك... ليتكلم العالم كما يريد... ليتكلموا بالشر على الكنيسة وليتكلموا كما يشاؤون ولكن الله سبق فتكلم ولتبطل ألسنة الناس ولترتد سهامهم إلى نحورهم... يتكلمون كلمه ولا يقدرون أن يكملوها لأن عمانوئيل "الله معنا" هو الذي يدفع الشر عن كنيسته ويحمي أولاده من ألسنة الناس.

١١. "فإنه هكذا قال لي الرب بشِدَّة اليد، وأنذرني أن لا أسلُكَ في طريق هذا الشعب قائلاً:

١٢. لا تقولوا: فتنَةً لكل ما يقول له هذا الشعب فتنَةً، ولا تخافوا خوفه ولا تَرهبوا".

قال لي الرب بشدة اليد:

إن حزقيال أيضًا يقول: "فحملني الروح وأخذني، فذهبت مُرًّا في حرارة روحي، ويد الرب كانت شديدةً عليَّ".

وداود النبي يتحدث عن ذات الاختبار فيقول: "تحولت رطوبتي إلى يبوسة القيظ لأن "**يدك ثَقُلَت عليَّ نهارًا وليلاً**" (مز ٣٢). إذًا اليد الشديدة تفيد هذه المعاني كلها فمن حرارة الروح إلى التبكيت الشديد والإنذار... ففي هذا الاختيار دخلت روح إشعياء النبي حينما تكلم معه الله في هذه المرة وفي الواقع أن الرب لم يكن يتكلم مع إشعياء فقط بل وجميع النفوس الأمينة الباقية لله. ويبدو أن هذه النفوس بدأت تضعف أو تتشكك أو يبدو أن تيارات المهاترات وحملات التخويف كانت تسري داخل الشعب بشكل مخيف.

فابتدأ الخوف والرعب يدخل إلى كل نفس ... خوف من العقاب وخوف من الموت وخوف من الخراب وخوف على المستقبل أو خوف كما يقول المزمور "الشرير يهرب ولا طارد" فأراد الله أن يحفظ شعبه الخاص من العدو الأول للنفس البشرية **(الخوف)** فكلم الرب إشعياء بيد شديدة وأنذره قائلاً: لا تقولوا فتنة لكل ما يقول له هذا الشعب فتنة فلا تنساقوا ولا تنقادوا وراء كل ريح... بل كونوا ثابتين وهكذا علمنا الرب يسوع: "وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. انظروا ولا ترتاعوا (مت ٢٤: ٦).

إن الإنسان الذي يؤمن بعمانوئيل ويحيا حياة الوجود مع الله لا يكون قصبة تحركها الريح... لا يتحرك بكلام الناس ولا بمخاوف الناس ولا بالإشاعات ... ولكن قلبه ثابت متكل على الله.

كما يقول المرنم "المتوكِّلون على الرب مثل جَبَل صِهيون" (مز ١٢٥: ١).

لا تخافوا خوفه ولا ترهبوا.

مخاوف الشعب مصدرها خطاياهم وابتعادهم عن مصدر السلام وأباؤهم قيل عنهم قضوا أيامهم تحت العبودية بسبب الخوف أما أولاد الله فوجود عمانوئيل في وسطهم يعطيهم سلامًا كما قال الرب عندما ظهر في وسط التلاميذ بعد قيامته المقدسة "سلامًا أترك لكم. سلامي أعطيكم" (يو ١٤: ٢٧).

وقد اقتبس هذه الآيات القديس بطرس الرسول في رسالته قائلاً: "فإن تألمتم من أجل البر، فطوباكم. وأما خوفَهم فلا تخافوه" (١ بط ٣: ١٤).

١٣. "قدِّسوا ربَّ الجنود فهو خوفكم وهو رهبتُكُم".

إن هذه هى بداية الصلاة التي علمنا الرب يسوع إياها أن نقول للآب "ليتقدس اسمك".

هى حياة أولاد الله في كل زمان ... يتقدس الله في حياتهم ويتقدس في أعمالهم.

إن الله هنا يطلب البقية الأمينة له أن يثبتوا في حياة القداسة وهذا هو الضمان الوحيد لتمتعهم حيث أن:

+ عشرة عمانوئيل فيها اختبار الوجود مع الله.

+ القداسة تحفظهم من نجاسات الأمم وعادات الشعوب الردية.

+ القداسة تعطي استنارة أكثر وثباتًا في الإيمان.

حياة القداسة هى استمرار لوجودهم بجوار مياه شيلوة الوديعة الجارية بسكوت.

وإلى جانب حياة القداسة هناك وصية أخرى لابد أن تكون في هذه البقية - وهى مخافة الله ورهبته لأن الإنسان السالك في وسط أباطيل هذا العالم وفي وسط تيارات وأعمال جسدية يحتاج دائمًا أن يصرخ مع داود النبي قائلاً: "سمِّر خوفك في لحمي"

(مز ١١٨).

إذًا لابد أن يكون رب الجنود القادر على كل شيء هو محور حياة هذه البقية هو قداستهم وهو خوفهم وهو رهبتهم وحينئذ تنتهي المخاوف البشرية من الموت والانكسار والحروب وجيوش الأعداء والغضب الآتي.

وبعد ما طلب إشعياء البقية بحياة القداسة ومخافة الرب نطق بهذا الوعد الإلهي المملوء من نوح قائلاً:

١٤. "ويكون مَقدِسًا وحجر صدمةٍ وصخرة عثرةٍ لبيتي إسرائيل، وفخًا وشركًا لسكان أورشليم".

مقاسًا = مكان التقديس = هيكل أو خيمة للقداسة ولملجأ ولمخبأ (إش٦). لقد قال الرب بفم حزقيال النبي: "أكون لهم مقدسًا صغيرًا" (حز ١١: ١٦).

هنا يعلن إشعياء أن الرب الإله سوف يقدس الشعب بخيمة جديدة وهيكل جديد فيه تتقدس وتتبارك النفوس المختارة وفي ذات الوقت يكون هذا الهيكل حجر صدمة وصخرة عثرة للنفوس الرافضة كيف يكون هذا...؟

لقد حقق الرب هذه النبوة بالتجسد.. أخذ هيكلاً جسديًا وصار مقدسًا.. واستبدل خيمة الاجتماع بخيمة جسده واجتمع مع شعبه بل اتحد بنا وصرنا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه وأصبح هو سلامنا وقداستنا ونلنا فيه نصيبنا وصار لنا به قدومًا وجرأة ونضح علينا من بره الإلهي فصرنا فيه مقدسين وقديسين برش دم يسوع المسيح.

ولكن ماذا كان التجسد بالنسبة للجاحدين...؟

كم كانوا يعيشون به!... كم كانوا يشكون فيه! كم رفضوه ولم يقبلوه!... حقًا قال الرب بفمه القدوس "أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية... من سقط على هذا الحجر يترضَّض، ومن سقط هو عليه يسحقه" (مت ٢١: ٤٢ - ٤٤). وهكذا تم قول سمعان الشيخ: "وُضِع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل" (لو ٢: ٣٤) الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله" وصار لهم صخرة خلاص ورفعه "على الصخرة

رفعتني".

أما الذين رفضوه فصار لهم صخرة عثرة وصخرة صدمة للسحق وللغضب "من لا يؤمن بالابن فليس له حياة بل يمكث عليه غضب اللّٰه".

أيضًا معلمنا بولس الرسول كم يتكلم عن الصليب الذي هو بالنسبة للمخلصين قوة اللّٰه وحكمة اللّٰه... أما بالنسبة للّهالكين جهالة "نكرز بالمسيح مصلوبًا: لليهود عثرةً، ولليونانيين جهالةً" (١ كو١: ٢٣).

١٥. "فيَعثُر بها كثيرون ويسقُطُون، فينكَسِرون ويَعلَقُون فيُلقَطونَ".

١. **يعثرون:** هذه عثرة التجسد وعثرة الصليب.. يعثر به كثيرون حتى بعض التلاميذ قيل عنهم "من تلك الساعة رجع كثير من التلاميذ إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه".

وقال الرب أيضًا: "حينئذ يعثُر كثيرون ويسلمون بعضُهم بعضًا ويبغضُون بعضهم بعضًا" (مت ٢٤: ١٠).

وقال أيضًا: "يقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرون".

وقال الرب "لابد أن تأتي الشكوك والعثرات".

٢. **يسقطون:** إن الذين يعثرون بالمسيح ويشكون فيه يسقطون في فخ إبليس... يقتنصهم لإرادته... لأن بدون المسيح لا توجد قيامة لإنسان. بل سقوط وانطراح في الحكم.

٣. **فينكسرون:** قبل الكسر الكبرياء كما قال سليمان الحكيم إذًا العثرة في التجسد والصليب سببها ذات الإنسان وكبرياء الإنسان أما اتضاع اللّٰه وضعف اللّٰه فهذا أقوى من الناس... هؤلاء عثروا بالمسيح واصطدموا بصخرة الدهور فسقطوا على أرض تشتت عظامهم عند الجحيم؟

٤. **يعلقون فيلقطون:** إن هذه النفوس الرافضة للّٰه تصير فريسة في يد الشيطان يلتقطها ليفترسها ويهلكها... قد صار لها تجسد ربنا وظهوره فخًا وشركًا لم يعرفوا سره وحمقوا في أذهانهم فسقطوا في هذه الحكمة البشرية فالتقطهم عدو الخير للّهلاك.

١٦. "صُرَّ الشهادة. اختِم الشريعة بتلاميذي".

إن شهادة يسوع المسيح هى روح النبوة. والشهادة هى عمل الروح القدس الذي شهد للمسيح قبل تجسده الطاهر بنبوات الأنبياء وإعلانات إلهية وهنا يطلب الرب من إشعياء قائلاً: صُر الشهادة واختم الشريعة بتلاميذي.

الشهادة: وهذه الشهادة التي اشهد الرب لنفسه شاهدين أمينين عليها كما في بداية الأصحاح...

١. **الشهادة المكتوبة:** على لوح كبير كوعد الرب بانكسار ملك أشور الذي يشير إلى انكسار سلطان الشيطان ونهاية جبروت المشتكي على أولاد الله.

٢. **الشهادة المتجسدة:** في شخص "مهير شلال حاش بز" ابن إشعياء...

٣. **الشهادة بخلاص ونجاة البقية** وانكسار الأمم رغم هيجانهم واليقين الشديد من جهة النصرة.

٤. **الشهادة بوجود الله معنا "عمانوئيل":** صخر الدهور وصخرة العثرة والشك لبني إسرائيل.

الشريعة: أما الشريعة فهى:

شريعة التقديس "قدسوا رب الجنود".

شريعة مخافة الله "هو خوفكم".

شريعة عدم الانسياق وراء تعاليم الناس ووصايا الناس... وألا يحملوا بكل ريح تعليم...

قال الرب لإشعياء: صُر هذه الشهادة واختم الشريعة بتلاميذي، كما قال الرب لدانيال: "فاخف الكلام واختم السفر إلى وقت النهاية"، فالشهادة والشريعة والنبوات وأقوال الله في العهد القديم مصرورة ومختومة... ومعلنة جزئيًا ليس لجميع الناس ولكن لتلاميذ الرب والشهود الأمناء.

وهكذا ظلت هذه الأمور مختومة ومكتومة وغير مستعلنة كما قال بولس الرسول: "الذي في الأجيال الأخر لم يعرف به بنو البشر"... هذه الختوم فكها الأسد الخارج من سبط يهوذا كما رآه يوحنا الحبيب... بعد دموع ورجاء الأجيال لأنه لم يكن من يفتح السفر ولا من يفك ختومه.

لقد فك الرب يسوع المسيح كل أختام ورموز وغموض العهد القديم بتجسده

وآلامه وصليبه وقيامته المقدسة وصعوده إلى السموات.

١٧. "فأصطَبر للرب السّاتر وجهَهُ عن بيت يعقوب وأنتظِرُهُ".

صحيح أن هناك غموض وسحاب كثير محيط بالله في العهد القديم بل أنه حينما كان الناموس يقرأ كان البرقع موضوع على القلوب والأذهان... والرب الإله قد ستر وجهه عن بيت يعقوب وتخلى عن أن يكون لهم سندًا وعضًا، لقد صارت الخطية فاصلاً مخيفًا بينهم وبين إلههم.

ولكن ماذا يفعل تلاميذ الرب وشهوده الأمناء الذين استبقاهم الرب للشهادة أمام هذا الغموض وتخلى الله؟

فأصطبر للرب... وأنتظره.

هكذا كان الآباء بالحقيقة يصطبرون للرب ولناموسه "ينتظرون ويتوقعون خلاصه من جيل إلى جيل".

قال داود البار: "انتظارًا انتظرت الرب، مثل منتظري الصبح انتظرتك... من أجل اسمك صبرت لك يارب... صبرت نفسي لناموسك"، وهكذا يقال عن سمعان الشيخ وحنة بنت فنوئيل المتعبدة ٨٤ سنة وعن جميع المنتظرين فداء لإسرائيل.

وهكذا يقال أيضًا عن الكنيسة التي تصطبر للرب وتنتظره إذا ما حلت بها أزمنة ضيق وأوقات امتحان... وهكذا أيضًا يقال عن النفس التي تحتمل الآلام والتجارب بصبر وانتظار وتوقع ورجاء كما قال الرب "بصبركم تقتنون أنفسكم".

١٨. "هأنذا والأولاد الذين أعطَانيهمُ الرب آياتٍ، وعجائِب في إسرائيل من عند رب الجُنود الساكن في جبل صِهيَون".

وليس فقط الصبر والرجاء والانتظار هو رصيد البقية من تلاميذ الرب بل هنا يكشف إشعياء عن سر حياة البقية المخفي عن أعين الناس...

هأنذا والأولاد الذين أعطانيّهم الرب:

يبدو أن إشعياء كان قد التصق به أولاد في الخضوع والطاعة لوصايا الله

والتعلق بالرجاء في المسيح المنتظر.

واستعلان مجد الله وهنا يتقدم إشعياء في حياة تسليم كامل قائلاً للرب هأنذا...

لقد قدَّم إشعياء لله سابقًا قائلاً: "هأنذا فأرسلني" وهنا يقدم نفسه وأولاده بنفس حياة التسليم قائلاً: هأنذا مثل عروس النشيد التي تقول: "أجذبني" وحدي وراءك "فنجري" "أنا والأولاد الذين أعطانيهم الرب".

+ قدّم نفسه أولاً لكي يرسله الله... "من نرسل ومن يتكلم من أجلنا". وأما الآن فهو يقدم نفسه وأولاده في الروح لكي يكونوا عجائب وآيات في إسرائيل من عند الرب.

إنهم يوضعون في يد الله في طاعة وتسليم لكي يعمل بهم مسرته... يجعلهم آيات وعجائب بأي طريقة وبأي تدبير.

لقد كان يونان النبي آية لأهل نينوى كما قال عنه الرب وأيضًا قال الرب لحزقيال: "جعلتك آية للشعوب"... كان الرب يعمل به ففي مرة ألزمه الرب أن ينام على جانبه الأيمن ٣٩٠ يومًا، ومرة أخرى على جنبه الأيسر ٤٠ يومًا، ومرة أخرى تموت زوجته ويلزمه الله بالسكوت... وهكذا عمل الله به وجعله آية.

هكذا أيضًا قدّم إشعياء النبي نفسه وأولاده ليكونوا آيات وعجائب لإسرائيل.

+ ولكن هل يبلغ خضوع البشرية للآب وطاعتها إلى مبلغ الكمال إلا في شخص الابن الوحيد الذي أخلى ذاته وقال للآب لتكن لا إرادتي بل إرادتك. وقدّم نفسه ذبيحة طاعة للآب وهو يحملنا في جسم بشريته فقدمنا للآب قائلاً: "ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله" كما سجّل معلمنا بولس الرسول في العبرانيين (عب ٢: ١٣).

وقد صار الرسل الأطهار "تلاميذ الرب" آيات وعجائب في إسرائيل من عند رب الجنود الساكن في جبل صهيون.

+ انظر كيف تعجبوا منهم في يوم الخمسين عندما امتلأوا من الروح المعزي وقالوا: "إننا نسمعهم يتكلمون بعظائم الله".

+ انظر كيف تعجب رؤساء الكهنة من بطرس ويوحنا إذا كانا إنسانان عديما العلم وعاميان وقد أجريا آية معلومة عند الجميع "شفاء الأعرج" (أع ٣).

إن حياة أولاد الله عمومًا في وسط العالم هى آيات وعجائب نازلة من فوق من

عند رب الجنود الساكن في جبل صهيون.

١٩. "وإذا قالوا لكم: اطلبوا إلى أصحاب التَّوابع والعرَّافين المُشَقشِقين و الهامسين. ألا يسأل شعب إلهَهُ؟ أيُسأل المَوتى لأجل الأحياء؟".

+ هنا يحذر الرب أولاده من... انحراف الإيمان والمشي وراء الأباطيل... لأن الشعب المسكين إذا ما أظلم أمامه المستقبل وانحجبت الرؤيا يصير مثل أعمى يتخبط ولا يدري أين يذهب لأن الظلمة أعمت عينيه.

فهم يسألون أصحاب التوابع والعرافين... إلخ:

١. لأنهم في خوف من المستقبل وغموض أحداثه.

٢. لأنهم لا رجاء لهم في الله ولا إيمان في قدرته.

٣. لثقتهم في مقدرة أنبياء الكذب وانخداعهم.

فإذا قالوا لأولاد الله اطلبوا إلى أصحاب التوابع... فماذا يكون جوابهم؟

+ إن أولاد الله ينظرون إلى الرب بوجه مكشوف ونوره الإلهي يكشف الطريق أمامهم فيسيروا في نور الرب ويسلكوا في طرقه.

+ إن أولاد الله لهم ثقة في مواعيد الرب وينتظروها بالصبر ولا يحتاجوا أن يقول لهم أحدًا عن المستقبل لأنهم يثقون أن الرب يدبر أمر الغد ويهتم بهم.

+ إنهم يعرفون أن طلب أصحاب التوابع والعرافة خطية عظيمة لأنهم يتركون الرب ويسعون في أثر الكذب.

+ إن أولاد الله الذين ارتبطوا به، ارتبطوا بالحياة فصاروا أحياء بالرب وصارت حياتهم ملكًا له.

أما أصحاب التوابع والعرافين والمشقشقين. فهم في حال الخطية والموت والبعد عن الله والالتصاق بروح الظلمة.

فهل يسأل هؤلاء الأموات لأجل الأحياء؟

أم يسألون أرواح الأموات أم يستشيرون روح الظلمة لأجل الأحياء في الله، الأحياء بوصاياه.

يا للعار والخزي إذا أطاع أولاد الله مشورة شياطين كهذه. ولكن الرب الإله يوجه

نظر أولاده بقوة قائلاً...

٢٠. "إلى الشـريعة وإلى الشـهادة.إن لم يقُـولوا مثـل هـذا القـول فلـيس لهم فجْـرٌ!".

إذا أردتم أن تعرفوا أمر الغد فإلى الشريعة وإلى الشهادة.

وإذا أردتم أن تطردوا الخوف من حياتكم فإلى الشريعة.

وإذا أردتم شبع وري فإلى الشريعة وإلى الشهادة.

وإذا أردتم النور والحق والحياة فإلى الشريعة وإلى الشهادة.

وأما هؤلاء فإن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر ليس لهم قيامة ولا نور بل يصيرون في ليل وظلمة إلى أبد الدهور. لأن الشريعة هى نور ومصباح للرجل وسراج للعين وقيامة من الأموات.

٢١. "فيعبُـرُون فيهـا مُضـايَقين وجـائعينَ. ويكـون حينمـا يجوعُـون أنهـم يحنَقُون ويسُبُّون مِلكَهُم وإلهَهم ويلتَفِتُون إلى فوق".

هؤلاء الذين رذلوا شريعة إلهنا ومياه روحه القدوس الجارية بسكوت وهدوء ووداعة وحرموا أنفسهم من نور الحياة ومحبة الحق.

يعبرون: لأن بقاء الإنسان على الأرض أمر مستحيل لأنه غريب وجائل مثل سائر آبائه.

ويعبر الإنسان كظل ولا يعرفه مكانه.

وهؤلاء الذين انفصلوا عن الله يعبرون ولا يذكرهم مكانهم.

مضايقين: إن الأرض التي يعيش فيها الإنسان قيل عنها "الضيقة العظيمة"... وقيل عنها أيضًا "وادي ظل الموت". وأيام الأرض مملوءة ضيقات وضرورات ومتاعب كثيرة ولكن الذي يعزي أولاد الله في هذه الغربة أن الرب في حال ضيقهم يتضايق وملاك حضرته يخلصهم... وهو يسير معنا في وادي ظل الموت ويظلل على اليد اليمنى ويفدي من الحفرة حياتنا فماذا يكون حال الذين ليس لهم أن يتمتعوا

بحبه ورفقته ومعيته المقدسة.

إنهم يعبرون مضايقين. وليس من يخلص.. بل أن الرب يسوع يقول عن الضيق في آخر الأيام أنه لا يكون مثله ولن يكون. ولكن من أجل أولاد الله تقصر الأيام من أجل نجاتهم وخلاصهم.

وجائعين: إن الشبع الحقيقي يكون للإنسان متى أكل الخبز النازل من السماء... من المن الحقيقي وشرب من ينبوع الدم النازل من جنب الصخرة.

ولكن هؤلاء رفضوا صخر الدهور وعثروا به فهم إذًا يعبرون جائعين.. لأنهم سعوا في أثر الخنازير ومحبة العالم فهم يهلكون جوعًا كالابن الضال بينما الأجراء في بيت الآب يفضل عنهم الخبز.

ولكن الجوع بالنسبة للابن الضال كان سببًا في التوبة والرجوع. واستعطاف قلب الأب... أما هؤلاء المساكين فإن الجوع انقلب فيهم إلى حنق وسب وشتيمة وتجديف على الله.

ويلتفتون إلى فوق:

إنهم لا يلتفتون إلى فوق لطلب المعونة أو التوبة أو الاستغفار بل للتجديف على إله السماء... ولكنهم لا يستطيعون أن يروا وجهه ولا أن يقفوا أمام غضبه بل يهربون كالظلمة.

٢٢. "وينظُرون إلى الأرض وإذا شِدَّةٌ وظُلمةٌ، قَتَام الضِّيق، وإلى الظلام هُم مطرودون".

التي هى حياتهم وخيالهم وفكرهم وأملهم ومستقبلهم لأنهم عاشوا للأرض... ولكن ماذا يجدون في الأرض في وقت القضاء والغضب!!

إذا شِدَّةٌ وظُلمةٌ، قَتَام الضِّيق، وإلى الظلام هُم مطرودون.

هذه الأرض التي لم يثمروا فيها لله... يطردهم منها، فالإنسان الأول آدم عندما انفصل بإرادته عن الله طرده الرب من الفردوس، لكن هؤلاء مطرودون إلى الظلام...

إن الأرض التي كانوا يعيشون فيها، فيها الهيكل والعبادة والذبائح والعهود والاشتراع... وحضرة الله وتابوت العهد... وهذه الأمور يعبّر عنها بالنور... فإن طردوا منها فهم مطرودون إلى الظلام مثلما حكم بولس الرسول بطرد إنسان من الكنيسة في كورنثوس قائلاً: "يُسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد" أي يطرد من شركة الكنيسة لأن خارجًا الظلمة ...

بل أن الرب يسوع وهو يحدثنا عن الدينونة قال عن الجحيم "الظلمة الخارجية".

والنفس في هذه الحالة تكون في حال الشدة والظلمة وقتام الضيق وهذا يشير إلى الدينونة التي تحل بهذا الشعب وتكشف عن الظلمة التي تحيط بالنفوس الرافضة للمسيح، وأخيرًا توضح كيف تكون الدينونة في اليوم الأخير.

الأصحاح التاسع

١. "ولكـن لا يَكـون ظَـلامٌ للـتى عليهـا ضِـيقٌ. كمـا أهَـان الزمـان الأول أرض زَبُولـون وأرض نفتـالى، يُكـرمُ الأخـير طَريـق البحـر، عـبر الأردن، جَليـل الأُمـم".

انتهى حديث الرب في الأصحاح السابق بقوله: "وينظرون إلى الأرض وإذا شدة وظلمة وقتام الضيق وإلى الظلام هم مطرودون". وفيه نرى الصورة هكذا مظلمة. وكئيبة تفوح منها رائحة الغضب وخوف العقاب وبؤس حال الذين تركوا الرب واستهانوا بقدوس إسرائيل ورفضوا مياه شيلوه الجارية بسكوت وسروا بروح العالم...

ثم نندهش جدًا إذ نجد أن تكملة كلمات العقاب هذه تأتي هكذا "ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق...".

والواقع أن الحديث هنا بشارة بأشراق شمس البر الذي سينهي أزمنة الظلام وسلطان الخطية ويعلن بداية زمن البر الأبدي.

فبينما العالم يئن ويتمخض في شدة وظلمة وقتام الضيق جاء النور الحقيقي إلى العالم فأضاء في الظلمة، والظلمة لم تدركه لذلك قيل "ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق". "**ولكن**" هذه الكلمة كم هى غالية وعزيزة ككنز أدخره لنا الرب في كل أزمنة الضيق لكي لا تنهي الخطية على رجاء أولاد الله. فهى مصدر عزاء ونور وفرح لأن هذه الكلمة "ولكن" إن تتبعناها في الكتاب المقدس نجدها تقف كحاجز جبار وتفصل بين الغضب والرضا، النور والظلمة، الضيق والفرج. بل أنها أداة المتضادات وهى منفذ عجيب في شدة الضيق...

دعنا نتأمل موقعها العجيب لنستطيع أن نقدم شكرنا لله بسبب هذه الكلمة: فإن قيل "في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم، أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحوّل إلى فرح" (يو١٦: ٣٣، ٢٠) المرأة وهى تلد تحزن... لكن متى ولدت الطفل لا تعود تتذكر الشدة لسبب الفرح، ... فأنتم كذلك، عندكم الآن حُزن، ولكني سأراكم أيضًا فتفْرح قلوبكم" (يو ١٦: ٢١).

"مضطهدين، ولكن غير متروكين" (٢ كو ٤: ٩).

"كحزانى ونحن دائمًا فرحون" (٢ كو ٦: ١٠).
هكذا ادخر لنا الرب في هذه الكلمة المواعيد العظمى والثمينة.

لا يكون ظلام: قال الله قديمًا ليكن نور فكان نور فالظلام لا يتبدد إلا بكلمة الله فإن لم يقل الرب ليكن نور فإن الظلام يظل مخيمًا بسلطانه.

هكذا كان في تجسد الكلمة ودخوله إلى العالم حيث ظل ظلام الخطية وسلطان إبليس رئيس هذا العالم مسيطرًا ومالكًا، أشرق نور الحياة الأبدية في المسيح يسوع مبدد ظلمتنا وأنار لنا الحياة والخلود... لذلك قيل عن الظلام "لا يكون" لأن ابن الله جاء لكي ينقض أعمال إبليس...

"إن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لمعرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح".

وقد أضاء مجد الرب:

في ميلاده "مجد الرب أشرق على الرعاة".

في أعماله: إذ أن قوات الظلمة كانت تهرب صارخة.

في تجليه: "أضاء وجهه كالشمس وثيابه كالنور".

في قيامته: بمجد لا ينطق به بدد ظلمة القبر وكسر شوكة الموت وبهذا تكون قد كَمُلَت نبوة ملاخي النبي "لكم أيها المتقون اسمي تُشرق شمس البر" (ملا ٤: ٢).

كما أهَان الزمان الأول أرض زَبُولون وأرض نفتالي، يُكرمُ الأخير طَريق البحر، عبر الأردن، جَليل الأُمم.

الزمان الأول والزمان الأخير:

إن دخول المسيح إلى العالم قسم الزمن إلى اثنين: الزمان الأول والزمان الأخير.

في الزمن الأول دخلت الخطية إلى العالم، والزمن الأخير البر الأزلي، في الزمن الأول حصل الهوان لأرض زبولون وأرض نفتالي، وفي الأخير تكون الكرامة

حتى لجليل الأمم.

في الزمن الأول بإنسان واحد دخل الموت إلى جميع الناس، وفي الزمن الأخير بإنسان آخر الحياة.

الزمان الأول كانت الجزة "خراف بني إسرائيل" مبللة بندى الروح والأرض حولها جافة.

والزمان الأخير تكون الجزة (يابسة) والعالم كله في قبول النعمة وفي معرفة المسيح (راجع سفر القضاة ٦: ٢٦-٤٠).

لذلك قيل في بداية البشارة بالإنجيل "قد كمل الزمان" يقصد الزمان الأول أي انتهى سلطان الخطية وزمن سيادتها وسطوة الموت الذي بالخطية.

"ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة". فميلاد المسيح له المجد فصل بين ما قبل الميلاد وما بعد الميلاد كزمنين منفصلين ومتميزين تمامًا.

ومن الأمور المدهشة إن إشعياء هنا يحدد مكان بزوغ شمس البر والإشراق الإلهي "طريق البحر - عبر الأردن".

جليل الأمم وهى الأماكن التي ابتدأ الرب خدمته فيها، واختار الرسل الأطهار لأول مرة وأوصاهم أيضًا بعد قيامته أن يذهبوا إلى الجليل لكي يروه قائمًا من الأموات لأول مرة أيضًا.

أرض زبولون وأرض نفتالي:

زبولون ونفتالي كانتا أكثر البلاد التي قاست منذ زمن بعيد هجمات الأمم المجاورة (قض ٤: ٦، ١٠، ص ٦: ٣٥).

نفتالي قاست بشدة من الغزو الأرامي سنة ٩٥١ قبل الميلاد (١مل ١٥: ٢٠) وعندما بدأ تغلث فلاسر يجلي بعد الغزو نجد أن قادش حاذور وجلعاد وكل أرض نفتالي ذكرت على وجه الخصوص كأراضي كابدت أكثر من غيرها (٢ مل ١٥: ٢٩).

أيضًا كانت أول من سقط تحت نير الأشوريين.

ولكي يصنع الرب تعويضًا عظيمًا لهذا الانكسار فإن أول شعاع لنور عمانوئيل

يجب أن يشرق عليها (طبرية – كفر ناحوم – كورزين – وهى من أقاليم نفتالي).

وهكذا بدل الرب هوانها إلى كرامة ومرارتها إلى حلاوة.

وهذا إشارة ورمز لرفع الأمم من عار الخطية إلى حرية مجد أولاد الله عندما أشرق عليها بنور لاهوته في تجسده وموته وقيامته.

+ ومن المدهش حقًا أن جبل تابور الذي تجلى عليه السيد المسيح بمجد عظيم يقع في حدود أرض زبولون.

+ ومن المدهش أيضًا أن النور الإلهي والكرامة والمجد في الزمن الأخير أي في زمن المسيح سيكون ليس لعبر الأردن وطريق البحر فحسب بل أنه سيمتد ليغطي جليل الأمم وليس جليل اليهودية ويا لها من مقارنة مبدعة هذه التي يظهرها الروح القدس في معنى الكلمة... فالجليل بالنسبة لليهودية منطقة حقيرة لا يعتد بها وهى ذات المنطقة التي تربي فيها الرب يسوع "ناصرة الجليل" والتي قيل عنها أمن الناصرة يخرج شيء صالح.

فالرب كان مزمعًا أن يشرق بنوره ليس على الأمم الوثنيين فحسب بل على أحقر ما في الأمم أي على "جليل الأمم".

فهو جاء يدعو الخطاة والزناة وفاعلي الإثم والذين في الطرق والسياجات المعتبرين بقياس الروح أنهم عمي وعرج وجدع بل وحتى المزدرى وغير الموجود بحث عنهم.

حقًا إن هذا هو أقصى تعبير عن رحمة ربنا المتنازلة وحبه الحاني وإشراقه حتى على جليل الأمم.

وهذا ما سجله القديس بولس الرسول لأهل كورنثوس انظروا دعوتكم أيها الإخوة ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء. ليس كثيرون شرفاء. بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء واختار ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء. واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود (١كو ١ : ٢٨).

٢. "الشعب السَّالك في الظُّلمة أبصرَ نورًا عظيمًا. الجالسون في أرض ظلال المَوت أشرَق عليهم نورٌ".

هنا نستطيع أن نلاحظ بسهولة أن الظلمة والموت كلمتان تفيدان نفس المعنى فالظلمة هنا ظلمة عقلية داخلية أصابت الروح وسيطرت على سلوك الإنسان لتقوده إلى الموت كأجرة للخطية.

من أجل ذلك لم يكن الإنسان يحتاج إلى ناموس أو وصايا لإنقاذه وخلاصه. بل كانت حاجته إلى نور وحياة أو إلى نور الحياة.

+ دخول المسيح إلى العالم الغارق في ظلمة وظلال الموت كان بمثابة إشراق نور عظيم لأنه هو شمس البر والشفاء (الحياة) في أجنحتها (ملا ٤: ٢).

وبالفعل قدم الرب يسوع نفسه للعالم قائلاً: "أنا جئت نورًا للعالم"، والقديس يوحنا شهد قائلاً: "فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة".

+ في الآية السابقة حدد إشعياء النبي جغرافيًا الأماكن التي تشرفت بإشراق النور الإلهي فيها وكرمها الرب عوض الهوان الماضي.

أما في هذه الآية فنرى أنه ليس مجرد نور لفئة من الناس مقصور عليهم ومحصور حيث هم مقيمين... بل أنه نور عظيم لكل الشعب السالك في الظلمة ولجميع الجالسين في ظلال الموت أينما كانوا وحيثما وجدوا. فالمسيح جاء نورًا لكل الذين وقع عليهم ظل الموت في كل الأرض وإلى دهر الدهور.

+ وعندما أشرق النور على الجالسين في ظلال الموت بدل ظلمتهم إلى نور "الذين كنتم قبلاً ظلمة أما الآن فنور في الرب".

وأصبحوا بنوره يعاينون النور... ويحدثون بفضل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب.

٣. "أكثرت الأُمَّة. عَظَّمت لها الفَرح. يفرَحُون أمامك كالفَرح في الحَصَاد. كالذين يبتهجُون عندما يقتَسمون غَنيمَةً".

أ. أكثرت الأمة:

في نور وجه يسوع المسيح وإشراقه رأى إشعياء النبي الكنيسة المقدسة أعضاء جسد المسيح... المولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى وإذا هم جمهور لا يعد من الكثرة كما رآهم التلميذ الحبيب في رؤياه "جمع لا يستطيع أحد أن يعده من كل أمة ولسان وقبيلة وشعب".

وهى أمة مقدسة كشهادة القديس بطرس الرسول وشعب اقتناء لأنه اقتنانا بدمه (١بط ٢: ٩)، لذلك قال "أكثرت الأمة".

فهو الذي أكثرها بسقي الروح القدس وفلاحته وتعهدها ونماها لأنها غرس يمينه... "بولس غرس وأبولس سقى، ولكن الله كان يُنمي" (١ كو ٣: ٦).

وكان الرب كل يوم يضم الذين يخلصون ... وهذا هو وعد الله منذ أيام القدم "أنه في نسلك (في المسيح) تتبارك جميع قبائل الأرض". مثل نجوم السماء والرمل الذي على شاطئ البحر هكذا رآها إشعياء ملء الذي يملأ الكل في الكل.

ب. عظمت لها الفرح:

الفرح في الكنيسة ميراث وغنى ... وهو من أول لحظة فرح عظيم "هأنذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب".

وقد قال الرب: "لا يستطيع أحد أن ينزع فرحكم منكم...". وهو فرح دائم "افرحوا بالرب في كل حين..." وله قدرة على غلبة الآلام. "أفرح في آلامي"... وهو باختصار فرح لا ينطق به ومجيد. وقد عظم الرب الفرح لكنيسته.

١. بوجوده الدائم فيها. هو في وسطها... وهذا مصدر فرحها.
٢. بعنايته الفائقة لها... "حتى شعور رؤوسكم محصاه..." وهذا ضمان دوام الفرح وعدم خضوعه لتقلبات العالم.
٣. بقيامته "فرح التلاميذ إذ رأوا الرب". وهذا هو سر نصرة الفرح على الحزن.
٤. بصعوده: "رجع التلاميذ بفرح عظيم" وهذا هو رجاء الفرح في السماء.
٥. بحلول روحه القدوس بفيض وغنى فائق.

يفرَحُون أمامك كالفَرح في الحَصَاد. كالذين يبتهجُون عندما يقتَسمون غَنيمَةً.

١. قلنا أن ينبوع الفرح في الكنيسة هو وجود الله الدائم لأن اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا... لذلك قال يفرحون أمامك... أي في حضرتك ووجودك.

والكنيسة صارت لها قدرة في المسيح على أن تتراءى أمام الآب بعد أن كانت تختبئ من وجهه بحجاب الخطية وخجل السقوط.

٢. الفرح في الكنيسة كالفرح في الحصاد. وهذا التعبير بعينه هو الذي قاله الرب يسوع للتلاميذ بعد مقابلته للسامرية "ارفعوا عيونكم.. الحقول ابيضت للحصاد... أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه.. لكي يفرح الحاصد والزراع معًا" وهذا الحصاد عظيم جدًا حقول مبيضة ونفوس مستعدة منتظرة يد الحاصد لتقطفها ثمرة تفرح السماء والأرض "السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب".. لذلك فالفرح في الكنيسة لا ينتهي لأن الحصاد فيها عمل لا يتوقف.

كالذين يبتهجون عندما يقسمون غنيمة:

قال ربنا يسوع: "إذا تحصن القوي فإنه يحفظ داره في أمان ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه يغلبه وينزع سلاحُه الكامل الذي أتكل عليه وينهب أمتعته ويوزع غنائمه" (لو ١١: ٢١،٢٢).

قال هذا عندما أخرج الشيطان من المجنون الأخرس وعندما رجع التلاميذ بفرح قائلين: "حتى الشياطين تخضع لنا باسمك" (لو ١٠: ١٧) قال لهم الرب: "رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء" (لو ١٠: ١٨) هنا كان فرح التلاميذ وابتهاجهم مثل من يقسّم غنيمة بعد الانتصار في الحروب.

فالرب يسوع سَحَقَ الشيطان وكسر شوكة الخطية والموت ووطئ قوات الجحيم لحسابنا وحطّم متاريس سجن الجحيم وفك المسبيين وأعطى الناس كرامات وعطايا.

أعطانا أن نوزع الغنائم والفضائل والنعم التي كنا محرومين منها زمانًا وأن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو.

هذا هو فرح النصرة للذين يهزمون الشياطين بسلطان المسيح الذي أحبهم "يعظم انتصارنا بالذي أحبنا".

٤. "لأنَّ نـير ثقلـه، وعصـا كتفـه، وقضـيب مُسـخِّره كسَّـرتهُن كمـا فـى يـوم مِديـان".

يبدو واضحًا أن الخطية:

+ **نيـر ثقيـل..** أحنـى ظهـر البشرية كلهـا ومـرر حياتهـا بالعبوديـة وهـى ربطـت الإنسان بالعالم والجسد والشيطان فصار الإنسان مذلولاً بعنق عبودية يعمل ويثمر للموت.

ولا توجد حرية ولا كرامة للإنسان طالما هو يحمل نير الخطية الثقيل ولكن كسر النير يعني تحرير النفس وانطلاقها بلا قيود ولا عبودية وهذا ليس في مقدور الإنسان ولا في استطاعته... لذلك فإن الرب نفسه هو الذي كسر النير وعصا كتف التسخير حطمها بيده القوية وذراعه الممدودة وحرر الذين عاشوا كل حياتهم تحت العبودية... وقال إن حرركم الابن صرتم بالحقيقة أحرارًا.

+ **كما في يوم مديان** (قضاة ٨: ١-٢٣).

١. كـان الشـيء المميز ليـوم مـديان أن النصـرة لـم تـأت نتيجـة حـرب ومعركـة منظورة... بل بقليل من البشر مختارين من إسرائيل لئلا يعيروا السيد قائلين: "يدي خلصتني" (قض ٧: ٢). بل كان واضحًا ومعلنًا لجدعون أن الرب معه "الرب معك يا جبار البأس" (قض ٦: ١٣) وهذه المعية تعني عمانوئيل.

٢. في يوم مديان أيضًا نرى أنه في الزمان الأول جزة الصوف "المعتبرة أنها رعية إسرائيل" مملوءة من ندى السماء وعمل الروح والأرض حولها جفاف لعدم معرفة الله.

أما في الزمان الأخير فكان الندى على الأرض والجزة في جفاف.

فالخلاص الذي صنعه الرب يسوع شبيه بيوم مديان ولكن هناك فرقًا واضحًا أنه جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله، أما كل الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أبناء الله.

٣. وقد تحققت هذه النبوة زمنيًا في أيام حزقيا ملك يهوذا عندما أرسل الرب

ملاكه فقتل من جيش سنحاريب ملك أشور ١٨٥ ألف جندي كانوا محاصرين أورشليم... وخلصت أورشليم من يدهم بلا ذراع بشري وبحرب غير منظورة كما في يوم مديان.

٥. "لأن كل سِلاح المتَسلِّح في الوغى وكل رداءٍ مُدحْرَج في الدِّماء، يكون للحريق، مأكلاً للنار".

الحديث هنا عن النار المطهرة.. التي تحدث عنها إشعياء سابقًا في (ص ٤: ٤) "روح الإحراق".. أي نار الروح القدس الذي كان مزمعًا أن يقدس أورشليم وينقي دمها من وسطها.

والرب يسوع نفسه قال: "جئت لألقي نارًا على الأرض" ووعد تلاميذه أنهم يتعمدون بالروح القدس ونار.

أين سلاح المتسلحين أمام هذه النار؟ وأين رداء الشيطان المخضب بدماء الأبرياء؟

إن نار الروح القدس تحرق وتطهر وتصفي الإيمان من الشوائب كما يتنقى الذهب بالنار.

٦. "لأنه يُولَدُ لنا وَلَدٌ ونُعطى ابنًا، وتكون الرِّياسة على كتِفِه، ويُدعَى اسمه عجيبًا، مُشيرًا، إلهًا قديرًا، أبًا أبديًا، رئيس السلام".

ميلاد المسيح

إشعياء النبي هنا تجاوز حدود النبوات والرموز والظلال إلى إعلان وشهادة يسوع المسيح التي هى روح النبوة ولكن بطريقة تتحدى أصحاب الشكوك والبدع ومنكري تجسد ابن الله الكلمة... وتقف شهادة إشعياء قبل ميلاد المسيح بأكثر من ٧٠٠ سنة دامغة لكل حجة مثبّتة للمؤمنين باعثه للرجاء.

لقد سبق وأعلن إشعياء عن:

+ ظهور نور عظيم على الجالسين في الظلمة.

+ ونهاية الزمن الأول وبداية الزمن الثاني.

+ وتبديل الهوان إلى مجد لأرض زبولون ونفتالي.

+ وإكثار الأمة وتعظيم الفرح.
+ وكسر عصا الكتف وتحطيم نير العبودية.
ولكن بأي وسيلة سيتم كل هذا؟ وكيف يكون هذا؟

لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنًا.

ففي ميلاد المسيح تكميل كل هذه المواعيد العظمى والثمينة.

لم يكتف إشعياء بنبوته الأولى عن الميلاد "ها العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه عمانوئيل (الله معنا)"...

ولكنه يعود فيتنبأ عن ميلاد عمانوئيل العجيب.

يولد لنا ولد:

في اللغة العبرية يمكن أن تقرأ هكذا يولد بيننا... لأجلنا... ملكنا فهو مولود من الآب قبل كل الدهور.. مولود في ملء الزمان. لمَّا جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة.

وهو مولود غير مخلوق... لأنه رأس كل خليقة... وبه خلق كل شيء. وهو مولود لنا... "ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب" لأجلنا ولأجل خلاصنا ولد.

ولكي يكون ملكًا خاصًا لكل واحد... يتمتع به... يحمله على ذراعيه مثل سمعان الشيخ... أو يحمله في داخله مثل العذراء القديسة وكأنه لا يوجد في الوجود من يمتلكه أو يتمتع به غيره... فهو يتوزع ولا ينقسم... وكل واحد يمتلكه وهو غير محدود... مثل الشمس حين تشرق يتمتع بها كل أحد كما يشاء وكأنها أشرقت خصيصًا من أجله... فهى توزع دفئها وحيويتها وهى لا تنقسم ولا تنحصر في مكان.

+ وهو شريك الأولاد في اللحم والدم "إذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا فيهما".

ونعطى ابنًا "ابن الله":

ابن الله الكلمة صار جسدًا ودعيَ ابن الإنسان وابن البشر يا لعظم هذا

السر الذي سبق فبشرنا به إشعياء قبل حدوثه بسنين كثيرة أن العطية هنا بمعنى الهبة المجانية. هذه النعمة التي كثيرًا ما تحدث عنها القديس يوحنا الرسولي في إنجيله "هكذا أحب الله العالم حتى بذَل ابنه الوحيد..." (يو٣: ١٦). وكما قال عنه معلمنا بولس الرسول في رسائله "الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين" (رو ٨: ٣٢)، "فالآب أعطانا ابنه الوحيد وبذله لأجلنا".

الحب الإلهي:

ابن داود

هذا هو ابن داود المنتظر... الذي ثبت مملكة داود إلى الأبد. ولا يكون لملكه نهاية... ويجلس على كرسي داود ويكون كرسي ملكه ثابتًا إلى الأبد (٢ صم٧: ١٢-١٦).

ألم يرَ المجوس الحكماء الذين أنار الروح بصيرتهم ملامح ملكوته الإلهي منذ الأيام الأولى لتجسده. كابن ملك فسعوا ليقدموا له هدايا الملوك "أين هو المولود ملك اليهود".

وكانت الجموع تتناجى فيما بينها "ألعل هذا هو ابن داود". والمرأة الكنعانية ببصيرة الإيمان الثاقبة كانت تصرخ "يا سيد يا ابن داود ارحمني".

بل أن الأطفال الصغار في يوم دخوله الانتصاري إلى أورشليم ليثبت كرسي مملكة داود أبيه في الهيكل. صرخوا باستعلان إلهي مباركة مملكة أبينا داود، أوصنا يا ابن داود، وتكون الرئاسة على كتفه.

المسيح ملك بالصليب... حينما وفّى الدين الذي كان علينا ومحا الصك وسمره بالصليب واشترانا لا بفضة ولا بذهب بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب.

إذًا رئاسة المسيح التي كانت على كتفه هى صليبه الذي حمله عوضًا عن الأشرار ويا للعجب أن علامة المسيح هذه يعلنها إشعياء النبي وهو يتكلم عن ميلاده وكأنه يقول يولد وهو حامل صليبه ورئاسته على كتفه.

بل من العجيب أيضًا أن سمعان الشيخ عندما حمل الطفل يسوع على ذراعيه تلامس مع الصليب في الحال وتكلم عن علامة المسيح "صليبه" التي تقاوم من العالم

الرافض.

حقًا لأنه لم يكن الصليب حدثًا عارضًا في حياة المسيح بل أنه وُلِدَ ليكون فدية وخلاصًا ونعمة وغفرانًا للخطايا. فلا عجب أن يبدو الصليب من أول لحظة واضحًا ومُعلنًا هكذا في حياة ربنا في الجسد.

+ إن هذا الذي حمل رئاسته على كتفه... صير حمل الصليب شرطًا للتلمذة له والدخول ملكوته "من لا يحمل صليبه كل يوم ويتبعني لا يستحقني". وقد سبق بفم صفنيا النبي وقال إنه عندما يحول الشعوب إلى شفة نقية، فيكرزون باسمه في كل العالم حينئذ يعبدون الرب. "بكتف واحدة" أي بحمل صليبه (صفنيا ٣: ٩).

ويُدعَى اسمه عجيبًا، مُشيرًا، إلهًا قديرًا، أبًا أبديًا، رئيس السلام.

+ أضاف كتاب الترجوم كلمة "من الأزل" إلى هذه السلسلة العجيبة من أسماء المسيا المخلص وكأنها تقرأ هكذا يدعى اسمه من الأزل عجيبًا مشيرًا... الخ.

أي أن هذه الأسماء ليست جديدة ولا مستحدثة بل هى الأزل وإنما أظهرت في آخر الأيام، في ظهور ابن الله الكلمة وهذه الأسماء هى مجرد استعلانات جديدة للعمل الخلاصي الذي يضطلع به المسيح الكلمة الذاتي الذي كان منذ الأزل عند الله.

+ **عجيبًا:** هذا هو أول اسم ممكن أن يدعى به المسيا كما قيل لمنوح أبي شمشون "لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب". وذلك لأن التجسد هو أعجوبة الأعاجيب "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد".

فهو عجيب في **نزوله من السماء** إلى الأرض "طأطأ السموات ونزل".

وعجيب في **اتضاعه وإخلاء ذاته** ومذهل للعقل جدًا "أخلى ذاته وأخذ شكل العبد".

وعجيب في **محبته للبشر** إلى حد البذل "هكذا أحب الله العالم...".

أحبنا خاصة إلى المنتهى ليس لأحد حب أعظم من هذا وعجيب في **ميلاده البتولي** من العذراء القديسة "أرسل الله ابنه مولودًا تحت الناموس".

وعجيب في **أعماله** التي لا توصف "كان الجميع يتعجبون من أعمال النعمة الكائنة منه".

وعجيب في **أقواله وأمثاله وتعاليمه** "ما رأينا إنسانًا قط يتكلم مثل هذا".

عجيب في قبوله الآلام بالجسد "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان".

وعجيب في **موته الإرادي** على الصليب "لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها".

وعجيب في **قيامته** "حبة الحنطة إن ماتت تأتي بثمر كثير".

وعجيب في **صعوده** "أنا ماض لأعد لكم مكانًا".

وعجيب في **إرساله الروح القدس** "يأخذ مما لي ويخبركم".

وعجيب في **معيته للتلاميذ** "ها أنا معكم كل الأيام".

الذي يهمنا جدًا أن هذا الاسم المبارك صار من نصيبنا.

وباختصار فإن اسم مخلصنا الصالح كما اختبره الرسل والآباء القديسين هو الاسم العجيب في قوته والعجيب في فعله به أقاموا الموتى وأخرجوا الشياطين وشفوا المرضى وصنعوا القوات.

+ مشيرًا:

أي كلي الحكمة، معطي الحكمة، أو مشير وقاضي الشعب.

الترجمة السبعينية الفاتيكانية جمعت كل سلسلة الأسماء في كلمة "ملاك المشورة العظيم" أو كما جاء في (إش ٢٨: ٢٩) "ربّ الجُنود عَجيب الرأي عظيم الفَهم".

فالمسيح هو حكمة الله، وهو كنز الحكمة والمذخر لنا فيه كل كنوز الحكمة والعلم.

وهو عندما استقر عليه الروح القدس من أجلنا قبل لحسابنا روح المشورة والفهم ... وصار لنا حكمة وخلاصًا ونعمة وغفرانًا للخطايا وكما كان الشعب في القديم يلجأ للقاضي أو المشير يطلب كلمة لتصريف أمور الحياة ويستقصى عن أحكام الناموس والشريعة.

هكذا نطق القديس بطرس بالروح وقال للسيد المسيح: "يارب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية هو عندك".

فالمسيا هو الذي خدم قضية خلاصنا وحكم حكمنا وخاصم مخاصمينا. حكم

للمظلومين وقضى للمساكين بالروح.

وهو مشير مشورة الخلاص للبعيدين والمتعبين "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين". ومشورة الرجوع والتوبة للخطاة "أشير عليك أن تشتري مني ذهبًا مصفى بالنار لكي تستغنى. وثيابًا بيضًا لكي تلبس... الخ".

+ من لا يقبل المسيح كمن يرفض مشورة الله:

لقد قيل عن الفريسيين عندما لم يقبلوا بشارة يوحنا عن المسيح أنهم رفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم.

إلهًا قديرًا:

تتميز النبوات دائمًا بغموض لذيذ في نصوصها يحتاج إلى عمق وبصيرة روحية لفهم مكنوناتها واستيضاح معانيها وكشف سرها لأن النبوة دائمًا تحوي سر الزمان القادم إلى أن يستعلن في حينه المرتب من الله والنبوة دائمًا مختومة إلى وقت تحقيقها والمسيح له المجد هو الذي فك ختوم السفر الأزلي فيه كملت كل نبوة مكتوبة وتحقق كل وعد للبشرية قيل من الله.

هنا نجد أن إشعياء العجيب تجاوز حدود النبوات والرؤى إلى كشف الجهاري عن لاهوت المسيح الذي رآها متجسدًا.

هنا الكلمات لا تحتاج إلى تفسير ولا تحتمل أكثر من معناها فالمولود من العذراء هو هو "الله القدير".

هل من بعد هذا الوضوح المعجز في نبوة سبقت مجيء المسيح بأكثر من ٧٠٠ سنة هل يوجد من يتشكك في لاهوت المسيح وسر تجسد ابن الله الكلمة؟

هل يوجد من يحاج أو يناقش والكلمات تطفح نورًا وهاجًا أكثر من ضياء الشمس في قوتها.

أنه ليس بالمثل ولا بالرمز والظلال ...

فالمسيح المولود من العذراء "هو الله القدير" هذا هو اسمه منذ الأزل ... لقد ظهر الله لأبينا إبراهيم وعرفه بذاته قائلاً: "أنا الله القدير سر أمامي وكُن

كاملاً" (تك ١٧: ١)، هذا الذي قال عنه اسطفانوس الشهيد الأول ... ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم.

إن اقتدار الله يبدو عجيبًا لأنه يتخطى مقاييس الناس فنحن نرى أن أعمال الاتضاع وإخلاء الذات في التجسد يستحيل أن يأتيها إنسانًا إذ هى فوق قدرات البشر...

ولكن الله القدير أخلى ذاته وهذا يتفق مع قدرته أن يستطيع كل شيء ولا يعسر عليه أمر... لذلك لا نستغرب أن ربنا شاركنا في كل شيء "إذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا في كل شيء"... ولم يستح أن يدعونا إخوة... ولم يستنكف أن يجعل طبيعتنا الضعيفة واحدًا مع لاهوته.

لأنه الله القدير... كل شيء مستطاع لديه.

وهذا الاسم المبارك يكشف لنا عن عمله الخلاصي... والشيطان يحدر إلى الجحيم فالله القدير يستطيع أن يخلص من الخطية ويصعد من الهاوية. إنه ليس مجرد ميلاد ولكن المولود هو الله القدير وهو سيعمل بحسب شدة قوته لخلاص الذين جاء من أجلهم.

+ أبًا أبديًا:

لقد شكا إرميا النبي حال البشرية متوسلاً إلى الله قائلاً: "صرنا أيتامًا بلا أب" (مرا ٥: ٣).

وقال إشعياء أيضًا بجرأة كمن يلقي بنفسه في أحضان الآب بجسارة: "أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم" (إش ٦٣: ١٦).

وكلمة أب هى كلمة سريانية معناها أصل.

فالإنسان كان يتحرق شوقًا إلى الآب ... إلى الأصل ...

والمسيح المبارك هو أصل وذرية داود... الألف والياء البداية والنهاية (رؤ٢٢).

وقد صار المسيح بالقيامة باكورة الراقدين ورأس الخليقة الجديدة والمسيح

هو الذي أخبرنا عن الآب وهو وحده الذي قال: "أنا والآب واحد. من رآني فقد رأى الآب".

ويقرر علماء الكتاب المقدس أن كلمة "أبًا أبديًا" مطابقة تمامًا لموضعها في سفر التكوين عندما قال يوسف لإخوته أن الله "جعلني أبًا لفرعون" (تك ٤٥). أي مخلصًا له.

+ أبديًا:

لمَّا جاء ملء الزمان وُلِدَ المسيح بالجسد. وُلِدَ بيننا تحت الناموس وخاضعًا له. وجد في الهيئة كإنسان تحت الزمان... ولكنه لم يكن محصورًا بالمكان ولا بالزمان لأنه أبدي.

"يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد" هكذا قال القديس بولس الرسول (عب ١٣).

على أن استعلانات هذه الأسماء التي للمسيح المبارك هى في الواقع تخصنا وتحل لنا في شخصه المواعيد العظمى والثمينة.

فإذا قيل عن المولود من العذراء أنه "أبًا أبديًا" فإننا ندرك للحال أن بدخوله إلى عالمنا وميلاده في جسم بشريتنا صار لنا ضامنًا لعهد أبدي وخلاصًا أبدي أو بالحري أن جميع الأعمال والمواعيد التي لنا في المسيح هى بلا ندامة وبلا زوال بل أن السماء والأرض تزولان ولكن كلامه وهباته لنا لا تزول.

فعمل المسيح الذي عمله فينا هو عمل يدوم إلى الأبد واسم الخلاص الذي له هو اسم أبدي إلى دهر الدهور.

رئيس السلام:

لقد ظهر على مستوى تاريخ البشرية رجال سلام كثيرون فلقب أحدهم ملك ساليم أي ملك السلام. ولم يفهم أحد سر هذا الرجل ملكي صادق حتى كمل إعلان هذا السر في المسيح ملك السلام... وهكذا جميع الذين كانوا في القديم يحملون لقب السلام كانت حياتهم رمزًا وظلاً يكمل ويتحقق في شخص رئيس السلام الحقيقي

يسوع.

فنحن نقرأ عن سليمان "السلامي" الملك أنه كان في أيامه سلام وأمان ولكن في الرموز كان السلام مؤقتًا سريعًا ما يزول وتحل مكانه الحروب والانقسامات والاضطراب فيفقد السلام... يقولون سلام ولا سلام.

أي أن ولد ملك السلام الحقيقي وترنمت الملائكة في لحظة ميلاده معلنة بدء زمن السلام على الأرض... السلام الروحاني الفائق للعقل الذي جاء وبشرنا به نحن البعيدين والقريبين... وصالحنا مع الآب بذبيحة نفسه صانعًا سلامًا لا يزول.

ولا يستطيع العالم أن ينزعه منا.

وقد أوضح المزمور ٧٢ معان عميقة لزمن المسيح السلامي، عنوان هذا المزمور لسليمان وهو من صلوات داود النبي ويحمل نبوات عن المسيح رئيس السلام غاية في العمق.

"تحمِل الجبال سلامًا للشعب... يشرق في أيامه الصديق، وكثرة السلامة... مبارك اسم مجده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده" (مز ٧٢).

وهو كرئيس السلام وهبه لتلاميذه كسلامه الخاص "الذي أخذته من أبي"... السلام مع الآب "لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح هذا الذي نلنا الصلح من قبله".

هنا السلام برفع الخطية من الوسط ونقض حائط السياج المتوسط بين الله والناس.

السلام هنا ليس كلمه قالها المسيح كما تعودها الناس بل عطية حقيقية كموهبة روحية استقرت في حياة التلاميذ (الكنيسة) إلى الأبد إذ قد رفع المسيح خطايانا على الخشبة وقتل العداوة.

فصار المسيح رئيس السلام وهو بذاته صار سلامنا الذي جعل الاثنين واحدًا. فعطايا المسيح لا تنفصل عن شخصه ففي المسيح مذخر لنا كل كنوز الحكمة والحب الإلهي.

٧. "لنُمُـوِّ رياسَـته، وللسَّـلام لا نهايـةَ علـى كُرسـيِّ داود وعلـى مْملكَتـه،

لِيُثَبِّتها ويَعضُدها بالحق والبرِّ، من الآن وإلى الأبد. غيرَةُ ربّ الجنود تصنع هذا".

المسيح جاء ملكًا للسلام ورئيسًا للسلام ومعطيًا السلام. هنا إشعياء يعلن أن سلام المسيح سلام أبدي لا نهائي لا يمكن أن يأتي عليه الزمن الحاضر فهو سلام فائق. وسلطان المسيح ورئاسة ملكوته السلامي ستكون ممتدة ونامية إلى ما لا نهاية... وقد تحقق هذا بالفعل فمنذ أن أسس المسيح كنيسته وجلس في كرسي مجده عن يمين الآب يوم صعوده وعضد كنيسته بالروح القدس المعزي روح الحق وروح البر (التبرير)... منذ هذه اللحظة والكنيسة تنمو وتتكاثر بروح الإخصاب.. وتمتد وتزهو... وكلمة الرب لم تزل نامية مزداده في كل بيعه... وستظل هكذا إلى يوم مجيئه الثاني المخوف فالكنيسة الحية بالروح لا تعرف التوقف عن الحياة لحظة... وملكوت المسيح مثل نار ألقيت على الأرض وما زالت تضطرم بفعل روحه القدوس الناري.

النمو هو حياة الكنيسة بالمسيح في الروح القدس، فالمسيح جالس على كرسي مملكته فوق المذبح يثبت كنيسته ويقودها وينميها ويسقيها كل يوم من ينابيع روح الحق في الأسرار... إذا أن غيرة رب الجنود تصنع هذا.

+ والذي يعزي قلوبنا جدًا أن كل هذه المواعيد لنمو الكنيسة وبقاء سلامها ووجود المسيح الملك جالس على كرسي مملكته يعضدها بفعل الروح القدس.. هذا كله يصنعه الرب لنا بحسب عمل قوته كإله غيور على مجده يستحيل أن يترك ميراثه للعار... يستحيل أن يرضى بخيمة داود ساقطة وحولها ردمها... أولاده تحت نير عبودية أو سخرة... بل إلهنا الغيور يقوم يصنع الخلاص علانية، يقيم خيمة داود الساقطة ويقيم أيضًا ردمها، يطهر هيكله بروح الإحراق وروح التطهير كقول المرتل: "غيرة بيتك أكلتني..." يخصب كنيسته ويسهر عليها بالروح القدس الذي حل فينا الذي يغير علينا غيرة مقدسة حتى أن الذين ينحرفون إلى محبة العالم يخاطبهم قائلاً: "أيها الزناه والزاني أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله" أنه يغير علينا كمن يغير على خطيبته المحبوبة التي خطبها ليقدمها عذراء عفيفة للمسيح.

٨. "أرسَل الرب قولاً في يعقوب فوقَع في إسرائيل.
٩. فَيعرف الشعب كله، أفرايمُ وسكان السامرة، القائِلُون بكبرياء وبعَظَمَة قلب:
١٠. قد هبط اللِّبنُ فنبني بحجارةٍ منحوتَةٍ. قُطِع الجُمَّيز فنستَخلِفه بأرز.
١١. فيَرْفَعُ الرب أخصَام رَصِين عليه ويُهَيِّج أعداءه:
١٢. الأرامِيِّينَ من قُدَّام والفلسطينيين من وراء، فيأكلون إسرائيل بكُل الفَم. مع كل هذا لم يَرتدّ غضَبُهُ، بل يدُهُ مَمدُودةٌ بعد!".

قول الرب: هو كلمته.. والآب يرسل كلمته كفعل مستمر... فالكلمة مولود من الآب.. وفعل الإرسال هنا في الأصل العبري "شيلوه" يشير إلى أن الكلمة ذات عاقلة... فهذا الفعل لا يستخدم إلا للإرسال الشخصي العاقل ولا يجوز استخدامه في اللغة العبرية للرسائل المادية.

لذلك كان يلذ لربنا يسوع أن يكرر أن الآب هو الذي أرسله بهذا المفهوم وأنه يعمل مشيئة الذي أرسله إذ كان قد أخلى ذاته من أجل خلاصنا.

أرسل الرب كلمته في يعقوب... فوقع في إسرائيل.

كان الأنبياء كلهم في مملكة يهوذا... وكانت إليهم كلمة الرب... فتكلم الرب بفم أنبيائه القديسين بطرق متنوعة بالمواعيد مرة وبالإنذارات أخرى نحو مملكة إسرائيل... ولكن كان ملوك إسرائيل متباطئ المسامع وغليظي القلوب وكان الشعب وراؤهم في زيغانه وعصيانه فما استفاد من مواعيد الله ولا وقع في خشيته من الوعيد والإنذارات ولم يحسبوا أناة ربنا خلاصًا.

وهنا يؤكد إشعياء النبي أن قول الرب الذي قاله بفمه هو أمر واقع فعلاً وليس كلامًا وأن السماء والأرض تزولان ولكن كلامه لا يزول.

أصل الداء: الآن يكشف الرب للشعب كله وسكان السامرة.... أصل الداء والسبب الكائن وراء هذا العمى الذي أصاب إسرائيل... إنه الكبرياء وعظمة القلب.

الكبرياء الذي يقسي القلب فلا يقبل كلمة الرب ولا يذعن لقوله.

المظهرية الكاذبة: إن المظهرية الكاذبة الخارجية هى نوع من التغطية في حال الفشل الروحي وهى أولى ثمرات الكبرياء... فإسرائيل يبحث كيف يتمجد بمباني الحجارة المنحوتة والأبهة الخارجية... وقد نسى أن بسبب الخطايا يُسلِّم الرب ميراثه للعار ويخرب كل هذا المجد الخارجي المتكلين عليه ولا يبقى حجر على حجر ألا وينقض.

الرب يهيج أعداءه: لا يوجد شيء من الخطايا بغيض عند ربنا قدر الكبرياء وعظمة القلب "يقاوم الرب المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة"، وينزل الأعزاء عن الكراسي. ويرفع المتضعين، ومن يسلك بالكبرياء هو قادر على أن يذله... إنه حقًا وراء كل سقوط تكمن الكبرياء.

فالرب هنا هو الذي يهيج أعداء إسرائيل المتكبر والمتكل على ذاته والذي أسقط الرب من حسابه وطرح وصاياه وأقواله خلفه.

فيأتي الأعداء ويأكلون إسرائيل بكل الفم... أي بلا رحمة وبكل قسوة.

مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد:

ولأنه لا توجد توبة ورجوع إلى الرب بعد، فمازلنا نسمع هذه العبارة: "مع كل هذا..." مع كل ما صنعه الرب ومع كل ما قاله وأنذر به.. حتى تهيج الأعداء هذا صنعه الرب للتوبة والرجوع... لعله إذا ذل كبرياءهم يرجعون إلى الرب، وكأنه حتى هياج الأعداء والمذلة والسقوط حتى الأكل بكل الفم... كل هذا سمح به الرب وهو يرجو أن يؤول كله للتوبة والخلاص فيرتد الغضب الإلهي وترتفع اليد الممدودة للعقاب والتأديبات.

إن ما يبدو في نظر الناس أنه عقاب أو تخلي هو في قصد ربنا ليس للهلاك ولكن للرجوع والخلاص وارتداد الغضب لذلك يكمل قائلاً:

١٣. "والشعب لم يرجِع إلى ضاربهِ ولم يَطلب رب الجُنود".

وكأن الضارب المؤدب هو الرب وليس أرام ولا العدو الخارجي.

هنا البصيرة الروحية التي يطلبها الرب في شعبه في كل جيل... أن ينتبه بوعي روحي فيدرك القصد الإلهي فيرجع ويطلب الرب.

الرجوع إلى الرب من كل القلب هو الطريق الوحيد للخلاص من النكبات والانكسار في الحروب (الروحية) فما بال هذا الشعب لم يلتفت إلى إلهه؟ كثيرًا ما نرجع سبب الضربات والتأديبات التي تقع علينا إلى أشياء كثيرة ربما الظروف أو الأحوال السياسية أو المتغيرات أو الناس من حولنا وننسى أن هناك سببًا جوهريًا ورئيسيًا وراء كل مصيبة وكل تأديب يقع علينا وهو الخطية الكامنة التي تعمل في القلب.

وبدون كشف هذا المرض الخطير الذي هو أصل الداء لا يحصل شفاء ولا ينجو الشعب من العقاب والتأديب ولا ترتد يد الرب.

١٤. "فيقْطع الرب من إسرائيل الرأس والذَّنَب، النَّخل والأسَل، في يوم واحد.

١٥. الشيخ والمعتَبر هو الرّأس، والنبي الذي يُعلِّم بالكذب هو الذَّنَب.

١٦. وصار مُرشِدو هذا الشعب مُضلِّين، ومُرشدوه مُبتَلعين.

١٧. لأجل ذلك لا يَفرح السيد بفتيَانه، ولا يَرحم يتامَاه وأرامله، لأن كل واحد منهم مُنَافقٌ وفاعل شرٍّ. وكل فم مُتكلِّم بالحماقَة. مع كل هذا لم يرتَدّ غَضَبُه، بل يده مَمدودة بعد!".

لسبب عدم التوبة والرجوع تمتد يد الرب يقع الزوان... وكأنه وقد صار الشعب كله زوانًا الرأس مثل الذنب... والنخل مثل الشوك، النخل الذي يشير للصديقين في وسط الشعب "الصديق كالنخلة يزهو" في عطائه وارتفاعه وعمقه وخيره. صار الصديقون في وسط الشعب كالشوك "الأسل" الذين هم زرع الخطية ونتاج أرضها "شوكًا وحسكًا تنبت لك الأرض"...

الشيوخ الحكماء المفروض أن يكونوا مسكن الروح وينبوع التعليم والقدوة المقدسة صاروا كالأنبياء الكذبة الذين يخضعون لروح الكذب والضلال والأباطيل.

لقد خضعوا جميعًا لروح العالم الخادع وعاشوا بعرفه وتقاليده ولم يبق لهم سوى منظر لشيوخ واسم الأنبياء فقد. احتفظوا بصورة التقوى ولكنهم ينكرون قوتها... لذلك إذا اقترب إليهم الشعب للمشورة أو للإرشاد فإنه يكمل فيهم قول الرب "إن كان أعمى يقود أعمى يسقُطان كلاهما في حفرة" (مت ١٥: ١٤).

هذا من ناحية المعتبرين في الشعب. الشيوخ والرؤساء والمرشدين والمشيرين!! فماذا عن الشعب المطحون والمسكين؟

صار الفتيان لا يفرحون قلب السيد الرب:

السيد الرب يفرح بالفتيان لأنهم يشيرون إلى الطهارة والقوة والنصرة على الشر "كتبت إليكم أيها الأحداث، لأنكم **أقوياء**، وكلمة **الله ثابتة فيكم**، وقد غلبتُم الشرير" (١ يو٢: ١٤).

فالفتيان في وسط الشعب مثل يوسف العفيف ودانيال الطاهر والثلاثة فتية القديسين وصموئيل الفتى النقي وداود القديس... الخ.

يصيرون سبب فرح وسرور لدى الله وبسببهم يحسن إلى الشعب كله، بسبب يوسف يستبقى حياة الأسباط كلها "لاستبقاء حياة أرسلني الرب قدَّامكم" (تك ٤٥: ٥).

وفرح الرب بصموئيل كان عوض رائحة الدنس من حفني وفنحاس ابني عالي الكاهن، وفرح الرب بداود كان عوض خيانة شاول الملك وبسبب داود كان الرب يحسن إلى الشعب قائلاً: "من أجل داود عبدي"...

فماذا لو صار الفتيان كل منهم **منافق وفاعل شر** وفمهم يتكلم بالحمّاقة (ع١٧).

أين يكون فرح السيد الرب ومن يكون موضوع سروره يشتم فيه رائحة رضاه.

وحتى الأرامل والأيتام أصبحوا لا يستدرون المراحم!!

إن الأرامل والأيتام كانوا يشيرون دائمًا إلى العنصر الضعيف في الشعب الذي فقد السند الأرضي وصار الرب هو سندهم "أب الأيتام وقاضي الأرامل" وصار هو الذي "يقيم دعوى اليتيم" وهو الذي يطلب حقهم وكانوا رمزًا للنفوس التي ألقت رجاءها بالتمام على الله وعاشت في مسكنة الروح فإن تدنست أيضًا هذه النفوس بفعل الشر

والنفاق والحماقة فمن يستدر مراحم الرب؟

هكذا صار المنظر مؤسفًا، فلا رأس سليم يرشد ويقود ولا قديسين يشفعون ولا أطهار ولا مساكين بالروح. فلم يريد الغضب ويد الرب ممدودة بعد.

١٨. "لأن الفجُور يُحرق كالنَّار، تأكُلُ الشوك والحَسَكَ، وتُشعِل غابَ الوَعر فتلتف عمود دُخان.

١٩. بسَخَطِ رب الجنود تُحرَقُ الأرض، ويكون الشعب كمأكل للنار. لا يُشفِق الإنسان على أخيه.

٢٠. يلتَهِمُ على اليَمين فيَجُوع، ويأكل على الشّمال فلا يشبَع. يأكلون كل واحد لحْم ذراعِه.

٢١. منسَّى أفرايم، وأفرايم منسَّى، وهما معًا على يهوذا. مع كل هذا لم يرتَدّ غضَبه، بل يده ممدُودَةٌ بعد! ".

لقد أعلن الرب في (ع ٩) دينونة الكبرياء وسقوط تشامخ الإنسان وعظمة قلبه وما يجلبه الكبرياء من ويلات وغضب.

وهنا يكشف الرب عن العلة الرهيبة للانهيار وانحطام الشعب، وهو الفجور وأعمال النجاسة ويجد ربنا أن نتعمق كلمات الوحي الإلهي جدًا لكي ندرك رعب ما تفعله هذه الخطايا الدنسة.

١. يحرق كالنار:

قال سليمان الحكيم عن الزناة أنهم كمن "يأخذ نارًا في حضنه".

والقديس بولس الرسول قال عن الذين أسلمهم الله إلى أهواء الهوان أنهم "اشتعلوا بشهوتهم" (رو ١: ٢٧).

وأمر بأن الرجل الذي انحمق في خطية الزنى في كنيسة كورنثوس – أمر بأن يسلم للشيطان ويفرز الخبيث من وسطهم وقال: "أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله".

وعندما زاغ الشعب قديمًا وراء الجسد جلس الشعب للأكل ثم قاموا للعب (للزنى) خرجت نار الله واشتعلت في طرف المحلة.

فالفجور إذًا يحرق كالنار... من ناحية في داخل الإنسان فيجعله يشتعل بشهوات غبية وردية ويحترق بها جسدًا ونفسًا وروحًا.. ويحرق من حوله كنار مشتعلة في شوك وحسك وغاب أشجار وعر وآنية الغضب مهيأة للحريق والهلاك ومن ناحية أخرى يكابد الإنسان نار دينونة رهيب تحرق الفجار ونار غضب الله المعلن على كل فجور الناس... بسخط رب الجنود تحرق الأرض.

٢. يشفق الإنسان على أخيه:

هذه الخطية وكل خطايا النجاسة تولد في الإنسان الطمع وقساوة القلب لذلك قال الرسول: "لا يطمع أحد على أخيه في هذا الأمر..." فالمحبة لا تطلب ما لنفسها ولكن الزنى هو خطية الذات التي لا تشفق على الآخر ولا تترفق... **فالإنسان لا يهلك نفسه فقط بل يحدر الآخرين.**

٣. بلا شبع:

ومن جوع الشهوات يكون الإنسان كمن يأكل لحم نفسه... ولكن بلا شبع. ألم يقل الرب للسامرية "من يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا".

الأصحاح العاشر

١. "ويلٌ للذين يقضُون أقضية البُطلِ، وللكتَبة الذين يُسجِّلون جَورًا.
٢. ليصُدُّوا الضعفاء عن الحُكْم، ويسْلُبوا حق بائسي شعبي، لتكون الأرامل غنيمَتَهُم وينهَبوا الأيتَام.
٣. وماذا تفعَلون في يوم العقاب، حين تأتي التَّهلُكَة من بعيد؟ إلى من تهرُبُونَ للمَعُونَةِ، وأين تَترُكُون مَجدَكُم؟
٤. إمَّا يجثُون بين الأسرى، وإمّا يسقُطون تحت القَتلى. مع كل هذا لم يرتَدّ غضَبُه، بل يدُهُ مَمدُودَةٌ بعد! ".

يبدو إشعياء النبي مرة أخرى ليشر إلى ظلم الفقراء وإلى سلب حقوق البائسين ونهب بيوت الأيتام واغتنام الأرامل.

وقد ذكر هذا الموضوع سابقًا في (ص ٣: ١٤، ١٥ – ص ٧: ٢٣).

لكن الذي لا يجب أن يفوتنا في هذا الموضوع أن كلمتي "سلب وغنيمة" الفعلين الذين ارتكبهما قضاة هذا الشعب هما نفس الكلمتين اللذين تضمنهما الاسم الرمزي "مهير شلال حاش بز" الذي تفسيره أسرع السلب وعجل الغنيمة. والذي كان ملك أشور عتيدًا أن ينفذه حرفيًا كدينونة حتمية على ظلم قضاة الشعب. وهنا لابد لنا أن ندرك أن الله يدين بالحق فما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا. ولا يجتنون من الشوك تينًا ولا من الحسك عنبًا بل نسل الحية لابد أن يكون أفعوانًا.

فداود النبي عندما ارتكب فعل الزنا والقتل حصد الثمرة بمرارتها على يد ابنه أبشالوم في وضح النهار.

وقد شهد أيضًا أدوني بازق ملك الكنعانيين بعد أن قطع بنو إسرائيل أباهم يديه ورجليه قائلاً: "سبعون ملكًا مقطوعة أباهم أيديهم وأرجلهم كانوا يلتقطون تحت مائدتي. كما فعلت كذلك جازاني الله" (قض ١: ٧).

وماذا أيضًا لو تحدثت... فالأمثلة كثيرة وجميعها تنطق باستحقاق دينونة الله العادلة أن الذين يضايقونكم سيجازيهم ضيقًا وأن الزانية ستشرب من كأس غضب زناها... وأن الذين رفضوا النور ولم يقبلوه تكون دينونتهم بقاءهم

في الظلام.

ملاحظات:

١. نسب الرب البائسين إليه قائلاً: "بائسي شعبي" وحينما أخذ الرب جسد بشريتنا صار شريكًا للضعفاء والبائسين بل أنه دعاهم إخوته الصغار "ما لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر، فبي لم تفعلوا" (مت ٢٥: ٤٥).

٢. "أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان، وورَثَة الملكوت" (يع ٢: ٥).

وقد بكّت يعقوب الرسول الكنيسة الأولى قائلاً: "أما أنتم فأهنتُم الفقير" (يع ٢: ٦).

وقال القديس بولس الرسول "اختار الله الفقراء ليخزي بهم الأغنياء".

٣. إن كان الجور والظلم للأيتام والأرامل استحق عقابًا هكذا فما أحوجنا إلى إدراك قول يعقوب الرسول "الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم" (يع ١: ٢٧).

لأن الرب يرفع دعوى اليتيم بل أنه هو أب الأيتام.

ماذا تفعَلون في يوم العقاب، حين تأتي التَّهلُكَة من بعيد؟ إلى من تهرُبُونَ للمَعُونَة، وأين تَترُكُون مَجدَكُم؟

إمَّا يجثُون بين الأسرى، وإمّا يسقُطون تحت القَتلى. مع كل هذا لم يرتَدّ غضَبُه، بل يدُهُ مَمدُودَةٌ بعد.

+ إن ربنا سيصير هو ملجأ الأبرار في يوم الدينونة حين ينظرون نور وجهه متجليًا في قلوبهم التي قبلت الحق وكانوا ينظرون كما في مرآه وكما في لغز ينتظرون مجيئه فيرفعون رؤوسهم لأن نجاتهم تقترب.

+ أما الأشرار إلى من يهربون؟ يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام

غطينا من وجه الجالس على العرش... وكما تهرب الظلمة أمام شعاع النور هكذا يكون هربهم.

+ أضافت الترجمة السبعينية قبل الآية (٤) كلمة بدوني. أما يجثون بين الأسرى... وهذه الكلمة تفتح مجال جبار للتأمل أمام النفس، بالرب يسوع تستطيع النفس أن تقول: "بك يا إلهي اقتحمت جيشًا... بك يا إلهي تسورت أسوارًا" (مز ١٨: ٢٩).

بوجود الله مع النفس تجرؤ أن تقول: "لولا أن الرب كان معنا عندما قام الناس علينا، لابتلعونا ونحن أحياء" (مز ١٢٤: ٢ ـ ٣).

بل مع الله تقول باختصار "أستَطيع كل شيء في المسيح الذي يقوّيني" (في ٤: ١٣).

أما في حال التخلي وبعيدًا عن الله ماذا يكون حال النفس؟

حقًا قال ربنا: "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا".

بدون ربنا أما تصير النفس جاثية بين الأسرى مذلولة ومأسورة بالخطايا ونير العدو فاقدة لحرية مجد أولاد الله. وأما أن تكون تحت القتلى بالذنوب والأموات بالخطايا.

إن كان السقوط بين الأسرى أو تحت القتلى جسديًا يعني تخلي الله والعقاب والتهلكة فكم يكون تخلي الله أكثر مرارة على النفس. وكم تكون الدينونة والعقاب مخيفًا بالأكثر.

+ عقاب أشور:

٥. "ويلٌ لأشور قَضيب غضبي، والعصا في يَدهم هي سَخَطي.

٦. على أُمةٍ منافِقَةٍ أُرسله، وعلى شعب سَخطِي أُوصيه، ليغتَنِم غَنيمَةً وينهب نهبًا، ويجعلهم مدوسين كطين الأزقة.

٧. أمّا هو فلا يفتَكر هكذا، ولا يَحسِبُ قلبه هكذا، بل في قلبهِ أن يُبيد

ويَقرض أُمَمًا ليس بقليلةٍ".

+ كما علت السماء عن الأرض هكذا علت أفكار الله عن أفكار الناس وطرقه عن طرقهم... لأنه من عرف فكر الرب.

هكذا كان الحال حينما استخدم الرب ملك أشور ليعاقب به كبرياء وخطايا شعب بني إسرائيل.

كان في فكر الله أن يعاقب الخطاة ويدين الخطية أما ملك أشور فكان في قلبه أن يبيد ويقرض أممًا.

كان في فكر الله أن يكون ملك أشور عصا في يده. آلة يستخدمها لتنفيذ مشيئته... تكون طوع يديه...

أما ملك أشور فعندما قهر بعض الممالك لم يظن في نفسه هكذا بل ارتفع قلبه وامتلأ كبرياء وافتكر في نفسه أنه بقوته وجبروته يفعل، ونسى أن لله العلي سلطانًا على مملكة الناس.

+ فإن كان ملك أشور يخطئ هكذا في قلبه وينحمق في تصرفات الشر والكبرياء لابد أن يدان هو الآخر لأن الله ليس عنده محاباة بل النفس التي تخطئ هى تموت.

٨. "فإنه يقول: أليست رؤسائي جميعًا ملُوكًا؟

٩. أليست كلنُو مثل كَركَمِيش؟ أليست حَمَاةُ مثل أرفَاد؟ أليست السامرة مثل دمشق؟

١٠. كما أصابت يدي ممَالك الأوثان، وأصنامُها المنحوتة هى أكثر من التي لأورشليم وللسامِرَة.

١١. أفليس كما صَنَعتُ بالسامرة وبأوثانها أصنَع بأورشليم وأصنَامها؟".

١. كانت دمشق قد سقطت في يد ثغلت فلاسر ملك أشور في السنة الثالثة لملك آحاز وحمل شعبها وثروتها إلى قير (٢ مل١٦: ٩) ولم تكن السامرة كابدت مثلها بعد.

٢. كان ملك أشور يتقدم في قهر الممالك والبلاد المجاورة كلنو ثم

كركميش، حماة ثم أرفاد... دمشق ثم السامرة. ولكن يبدو كما لو كان الهدف هو أورشليم هى نهاية المطاف... فالعدو لا يقنع إلا بأورشليم حتى لو أعطى كل ممالك الأرض.

إن هذه البلاد في عبادتها للأصنام لم تكن بعيدة عن العقاب إذ هى في يد الشيطان ولكن أورشليم مدينة الهيكل مسكن الله مع الناس تختلف تمامًا.

ملحوظة:

قد يملك الشيطان على نفوس كثيرة وتسقط مدن في يده... مدن كبيرة وعظيمة... ولكن لا تساوي كل هذه النفوس شيئًا بجانب نفس مقدسة... هذه أنها أورشليم إذا ما حاصرها الشيطان أو أسقطها في يده يبدو كأنه انتصر على الله.

+ نظر ملك أشور ورؤسائه وامتداد فتوحاته... ونظر حوله أين ملوك البلاد التي استفتحها لنفسه؟

ثم فكر في أورشليم أيضًا بذات الفكر... أين إله أورشليم؛ هل استطاعت آلهة البلاد الأخرى الدفاع عنها؟

ونسى أن أورشليم إن دفعها الرب ليده إنما بسماح منه لتأديبها وردها إلى حضن الله.

أليست رؤسائي ملوكًا:

إن صار رؤساء جيش ملك أشور ملوكًا فيصير ملك ملوك.

+ إن فكرة التوسع في الملك فكرة قديمة طغت على البشرية كلها في كل أجيالها... إن ملك أشور فكر في قلبه أن يصير ملك ملوك قائلاً: "أليست رؤسائي جميعهم ملوكًا... لقد ظل الشيطان يطغي الإنسان بملكوت هذا العالم الزائل... إلى أن جاء ملك الملوك الحقيقي ربنا يسوع المسيح ورفض إغراء الشيطان الذي أراه جميع ممالك العالم ومجده وقال له: "أُعطِيكَ هذه جميعها إن خرَرتَ وسَجَدْت لي" فطرده الرب قائلاً: "اذهب يا شيَطان" (مت ٤ : ٩ . ١٠).

إن وراء كل مطامع يوجد شيطان يحرك بالشر قلوب الطامعين ويزرع زرع

الكبرياء الذي نهايته الهلاك.

١٢. "فيكون متى أكمَل السيد كل عَمَله بجَبَل صِهيون وبأورشَليم، أني أُعاقِبُ ثمَر عَظمَةِ قلب مَلك أشُّور وفَخر رفعَةِ عينيه.
١٣. لأنه قال: بقُدرَة يدِي صَنَعت، وبحكمَتي. لأني فَهيمٌ. ونَقَلت تُخوم شعوب، ونهَبْتُ ذخائرهم، وحَطَطْتُ الملوك كبطل.
١٤. فأصابت يدي ثروةَ الشعوب كعُشٍّ، وكما يُجمع بيضٌ مهجورٌ، جَمَعتُ أنا كل الأرض، ولم يكن مرَفرفُ جناح ولا فاتح فم ولا مُصَفصِفٌ ".

مقاصد الله من ناحية أورشليم لابد أن تكمل:

+ لابد أن يكمل الرب كل مقاصده من جهة أورشليم حتى ولو كان بالتأديبات فربنا ليس عنده أنصاف حلول... فهو يمد يده نحوها لينقيها من كل زغل بروح الاحراق ولا تزال يده ممدودة حتى يكمل إلى التمام.

+ فالتجربة لا ترفع حتى تكمل مشيئته الإلهية وتدابيره العالية لتأتي بالثمر المطلوب.

+ والشيطان قد يأخذ بسماح من الله سلطانًا ليحارب المرأة المتسربلة بالشمس ولكن سلطانه إلى حين.

+ وكلام الرب بفم عبيده الأنبياء عن عقاب الأشرار ودينونة الخطاة وهلاك الفجار لا تسقط منه كلمة بل لابد أن يكمل المكتوب.

فمتى أكمل الرب عمله حينئذ يعاقب ثمر عظمة قلب ملك أشور وفخر رفعة عينيه.

+ إن كل أفعال الإثم التي ارتكبها ملك أشور كانت ثمرة كبرياء قلبه... فمن القلب مخارج الحياة... وإن كان اتضاع القلب يفرح قلب الله ويرفع الإنسان في زمان الافتقاد فكبرياء القلب هو بداية السقوط وثمرته مُرة دائمًا.

والقلب المغرور ينسب كل نجاح إلى ذاته فيزداد كبرياء... ويثق في حكمته

واقتداره فلا يقبل مشورة من أحد حتى لو كانت من الله.

لأنه قال بقدرة يدي صنعت وبحكمتي لأني فهيم. نقلت ما نهبت... فخططت... الـخ. لا يكـف عـن الحـديث عـن ذاتـه وعـن قدرتـه كمـا لـو كـان لا يوجـد في الكون غيره. ما أجمل قول الكتاب "أن فوق العالي عالي يلاحظ والأعلى فوقهما".

الله لـيس موجـودًا فـي برنـامج الإنسـان المتكبـر... لـيس لـه وجـود ولا عمـل ولا سـلطان ولا قـدرة ولا تـدبير... "قـال الجاهـل فـي قلبـه لـيس إلـه" أمـا القديسـون فهم لا ينسبون إلـى أنفسهم عمـل مـا... لأن الله هـو العامـل فـيهم وبهـم أمـا ذواتهـم وقـدرتهم فقـد حسـبت عنـدهم كـلا شـيء بـل أنهـا تـراب ورمـاد ومـزدرى وغيـر موجود.

ما أعظم الفارق بين قلب ملك أشور وبين قلب داود النبي ملك إسرائيل الذي كان يتصاغر أمام الله ويقول: القلب المتواضع والمنسحق لا يرذله الله.

نقلت تخوم (حدود):

لو لم يكن هناك سماح من الله لدينونة هذه الشعوب ما استطاع ملك أشور أن يحرك مسكنًا واحدًا من مكانه... لأن القديس بولس يقول أن الله حدد مساكن الإنسان.

حططت الملوك كبطل:

كل سلطان هو من الله ... هو يعطي الإنسان سلطان بتدبير وترتيب وينزعه من الإنسـان... يرفـع مـن يشاء ويـذل مـن يشـاء... يـرحم مـن يـرحم ويتـراءف علـى من يتراءف.

أما ملك أشور فقد افتكر في نفسه بفكر الشيطان أنه يولي من يشاء ويحط الملوك عن كراسيهم... لقد أفرخت الكبرياء في قلبه. الله وحده هو الذي ينزل الأعزاء عن الكراسي ويرفع المتضعين.

جمعت أنا كل الأرض:

من كال المياه بحفنته وقاس الأرض بشبره ووزن الجبال كما بالقبان غير ذاك الذي أوجدها من العدم؟

يا للإنسان عندما تتأله ذاته في عينيه!!

ملحوظة: "توكل على الرب من كل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد" (أم ٣: ٥). لا تنسب إلى ذاتك أعمالاً باهرة ولا تكثر الحديث عن ذاتك وإن عمل الرب بك عملاً فائقًا ليكن في قلبك ما قاله القديس بولس الرسول "أنا ما أنا ولكن نعمة الله التي معي".

١٥. "هل تفتَخِرُ الفأس على القاطِع بها، أو يتكبَّر المِنشار على مُردِّده؟ كأن القضيب يُحرِّك رافِعَه! كأن العصا ترفَع من ليس هو عودًا!".

إن كانت الجبلة لا تقدر أن تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا ... بل كل الخليقة خاضعة وقائمة بكلمة الرب ... كل الخليقة تصنع إرادته وتباركه ... (انظر تسبحة الثلاثة فتية القديسين).

فكيف صار قلب ملك أشور مفتخرًا هكذا حتى على الله!!

هل تفتخر الفأس على القاطع بها:

نحن آلات في يد الله... فإن خضعنا لتدابيره صرنا آلات بر يصنع بنا مسرته وينفذ مشيئته ولكن إن كنا نقاوم تدبيره ونسلك بإرادتنا الخاصة فإن الله لا يشمخ عليه. ومن يسلك بالكبرياء هو قادر على أن يذله.

١٦. "لذلك يُرسل السيد، سيد الجنود، على سمانه هُزالاً، ويوقد تحت مجده وقيدًا كوقيد النار.
١٧. ويصير نور إسرائيل نارًا وقدوسه لهيبًا، فيُحرق ويأكل حسكه وشوكه في يوم واحد.
١٨. ويُفني مَجْدَ وعرهِ وبستانِهِ، النفس والجسد جميعًا. فيكون كذَوبان المَريض.
١٩. وبقيّة أشجار وعره تكون قليلةً حتى يكتُبها صبيٌّ".

نصيرًا في الضيق، وجد شديدًا يتجلى إله الآلهة في صهيون.

لقد عرف الرب عند شعبه باسمه المملوء بركة ومواعيد نهائية.

"**أنا هو... أنا كائن**". ولشعبه أن يتمتع بهذا الاسم المبارك الذي يملأ كل احتياج فإن جاعوا يصير لهم "أنا هو خبز الحياة" وإن عطشوا "أنا هو الماء الحي". وإن ساروا "أنا هو الطريق". وإن واجهوا الموت "أنا هو الحياة".

أما بالنسبة لفرعون فلم يعرف بهذا الاسم قط بل كان يقال لفرعون الرب إله العبرانيين... رب الجنود... رب القوات الإله المخوف والمرهوب الذي تذوب الجبال من أمامه كالشمع.

هكذا يستعلن الرب لملك أشور المنتفخ (السمين).

فالرب الإله هو نور إسرائيل أما بالنسبة لملك أشور فهو نار أكلة الشوك والحسك هما زرع الخطية في قلب ملك أشور فهل تستطيع أن تثبت أمام قدوس القديسين..."لا يثبت مخالفو الناموس قدام عينيك".

أين جبروت فرعون ملك مصر أمام قوة رب الجنود!

أين مجده وكبرياؤه وتجبره على إله العبرانيين؟

"الرب رجُل الحَرب. الرب اسمُه. مركَبَات فرعون وجيشُه ألقاهُمَا في البحر ... يمينُك يارب معتزَّة بالقُدرة. يمينُك يارب تحطِّم العَدُو... تُرسل سُخْطَكَ فيأكُلُهُم كالقشِّ" (خر ١٥: ٣-٧).

أما مجد الإنسان. المجد البشري فهو كزهر العشب كما قال الرسول يعقوب: "العُشب يبس وزهره سقط" (يع ١: ١١).

هكذا يذبل المجد البشري ويسقط في لحظات.. يعبر كالظل فلا يعرفه مكانه بعد.

٢٠. "ويكون في ذلك اليوم أنَّ بقيَّة إسرائيل والنَّاجين من بيت يعقوب لا يعُودون يتوكّلون أيضًا على ضاربهِم، بل يتوكّلون على الرب قدوس إسرائيل بالحقِّ.

٢١. ترجع البَقيَّة، بقيَّة يعقوب، إلى اللَّه القدير.

٢٢. لأنه وإن كان شعبُك يا إسرائيل كرمل البحر ترجع بقيَّةٌ منه. قد قُضيَ بفناءٍ فائض بالعدل.

٢٣. لأن السيد رب الجنود يصنع فناءً وقضاءً في كل الأرض".

يعود إشعياء مرة أخرى ليعلن بشرى الخلاص والنجاة للبقية وبمنتهى الوضوح في الإعلان يقول أن البقية سترجع إلى الله القدير. الموضوع إذًا لا يختص بحدث زمني وعقاب وقتي أكمله ملك أشور بأورشليم وأبنائها العصاة فحسب إنما وراء الحوادث الزمنية يكمن سر الخلاص الإلهي الأبدي.

بولس الرسول عندما تفاعل مع هذه الآيات نطق بالروح قائلاً: "إن إشعياء يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص".

فالحديث لم يعد سر مخفي في كلمات وأحداث ولكنه صراخ علني للذين استؤمنوا على سر الروح.

إذًا قد حصل رفض لإسرائيل... رفضوا العريس والراعي والمخلص والمحب إلى المنتهى رفضوا الذي جاء إلى خاصته متحننًا وديعًا... مد يده طول النهار إلى شعب معاند. ولما رفضوه مسمرين إياه على خشبة كمل قوله الإلهي "إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبَله. أمَّا كل الذين قَبلوه فأعطاهُم سلطانًا أن يصيرُوا أولاد الله" (يو ١: ١١، ١٢). وكان لمَّا رفضوه حصلوا في الهوان والازدراء وصاروا أعداء للنور ورافضين للحق وصالبين للمسيح.

والقديس بولس تعلق بهذه الآيات وفهم سر رجوع البقية من إسرائيل أنه قبولهم للمسيح ورجوعهم إلى حضن الله القدير بنعمة البنوة في يسوع المسيح.

والذي يقرأ ص ٩ و ١٠ من رسالة رومية يدرك أن قبول إسرائيل للمسيح مخلصًا وفاديًا هو هو الذي صرخ به إشعياء منذ القديم.

ونستطيع أن نستخلص بعض النقاط الهامة والنافعة للتأمل:

١. إشعياء يعلن أن هذه البقية كما يسميها "الناجين من يعقوب" أي المخلصين من الهلاك... أي الذين يتمتعون بالخلاص في شخص يسوع المخلص.

٢. إنهم لا يعودون يتوكلون على ذراع البشر. كاتكال بني إسرائيل قديمًا على ملك أشور وطلب معونته لخلاصهم فعندما يخيب رجاؤهم بالناس واتكالهم على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص حينئذ يرجعون إلى الرب يسوع ويؤمنون به ويتوكلون عليه.
٣. رجوع البقية في وقت دينونة وقضاء بالعدل الإلهي والحق وفناء يسود العالم... وهذا ما عناه القديس بولس الرسول بقوله: "إن اقتبالهم في الإيمان مرة أخرى سيكون بمثابة قيامة من الأموات".

٢٤. "ولكن هكذا يقول السيد رب الجنود: لا تخَف من أشور يا شعبي الساكن في صِهيَون. يَضْربُكَ بالقَضِيب، ويرفع عصاهُ عليكَ على أُسلوب مصر.
٢٥. لأنه بعد قليل جدًا يتم السَّخَطُ وغضبي في إبادتهم.
٢٦. ويُقيم عليه رب الجنود سوطًا، كضربة مِديان عند صَخرَة غُراب، وعصاه على البحر، ويرفعها على أُسلوب مِصْر.
٢٧. ويكون في ذلك اليوم أن حِمْلَهُ يزول عن كَتِفك، ونيرَهُ عن عُنقِكَ، ويتْلَف النِّير بسبب السَّمَانةِ".

نعود مرة أخرى لنتمتع بالبركات المخفية داخل كلمة "ولكن" لأن (ع٢٣) "أن السيد رب الجنود سيصنع فناءًا وقضاءًا على كل الأرض" فيه رائحة الدينونة والغضب والقصاص وفي وسط هذا الفناء والقضاء توجد طمأنينة لأولاد الله مذخرة وراء هذه الكلمة "ولكن".

ولكن لا تخف يا شعبي:

"لا تخَف، أيها القَطِيع الصَّغير" (لو ١٢: ٣٢).

أنتم شعبي... غنم مرعاي... لا تخف لأني معك.

لا تخف... لأن عيني عليك... لا تخف لأني نقشتكم على كفة يدي الساكن في صهيون... الساكن في الكنيسة... في حضن الله.

الساكن في ستر العلي... يخبئك في خيمته أي كنيسته.

لا تخف يا شعبي المحتمي في جنبي.

هو يرفع عليك العصاة ولكن لا يستطيع أن يهلك، يضربك بقضيب التأديب على أسلوب مصر **ولكن أنا أنقذك.**

حقًا قال المرنم واثقًا من فكر الله وصلاحه "تأديبًا أدَّبني الرب، وإلى الموت لم يُسلِمني" (مز ١١٨: ١٨).

قد رفع المصريون عصا التأديب وقضيب التسخير على الشعب قديمًا **لكن** بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا وأخيرًا كسر الرب عصا التسخير وأباد قوة فرعون مصر. وصنع الرب خلاصًا عظيمًا "الخيل وركاب الخيل طرحها في البحر الأحمر" (خر ١٥: ١).

+ لابد من مراجعة تاريخ معاملات الله مع الكنيسة في أجيالها لكي نستطيع أن ندرك مقاصد الله. فدرس الخلاص من أرض مصر وما صنعه الرب بالمصريين لإنقاذ شعبه لهو درس حي يجب أن لا ينس من شعب الله في كل الأجيال... لئلا يظن أن الرب قد ترك شعبه وباع ميراثه إذا ما حلت بعض الضيقات... ولئلا يظن العدو أنه أدرك هدفه وداس وحطم.

لأنه بعد قليل جدًا يتم السَّخَطُ وغضبي في إبادتهم.

قال القديس بطرس الرسول: "بعدما تألمتم يسيرًا، هو يُكمِّلكم، ويثبِّتكم" (١بط ٥: ١٠)، إن سلطان الظلمة لا يدوم ... ولكنه إلى ساعة ... "هذه ساعتكم وسلطان الظلمة" والآلام والضيقات بالنسبة لأولاد الله هى بالتأكيد وقتية وتمر بسرعة إذا ما قيست بالمجد الأبدي الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل.

هكذا يطمئن الرب شعبه الساكن في صهيون قائلاً: "بعد قليل جدًا" فليت شعب الله يفطن إلى هذا لأن الإنسان إذا ما حاقت به جيوش أشور قد يفقد صبره ويضعف وتصغر نفسه... وإذا ما طالت أيام الضغطات قد يضيق بها شعب الله... ولكن لابد أن نثق في مواعيد الله وننتظر بصبر "لأنكم تحتاجون إلى الصبر" بل يجب أن لا نقيس أيام الضيقة بمقياس الحكمة البشرية فنجدها طويلة وثقيلة بل بمقياس الله

فنشعر أنها قليلة جدًا...

وقد عاش الشعب هذه النبوة زمنيًا عندما أرسل الرب ملاكًا على جيش سنحاريب ملك أشور فقتل في ليلة واحدة ١٨٥ ألف جندي وهرب باقي الجيش في ذعر وخوف عندما بكروا فإذا هم جثث ميتة.

ألا يصير هذا عزاءًا للكنيسة في كل جيل!!

ويُقيم عليه رب الجنود سوطًا، كضربة مِديان عند صَخرَة غُراب، وعصاه على البحر، ويرفعها على أُسلوب مصر.

السوط = الكرباج – كان يستعمل للسخرة ورمز للعبودية التي استعبد بها المصريون شعب بني إسرائيل.

العصا = هى عصى التأديبات التي وقع تحتها الشعب.

وها الرب يرد السوط والعصى على الضارب بهما ويضربهما بذات السوط وذات العصى.

ويكون انكسار العدو أمام سوط الرب وعصا قوته مثل انكسار المديانيين في أيام جدعون ومثل انكسار فرعون عند البحر الأحمر. وبذات الإعجاز والاقتدار سينهزم أشور بل وكل قوة زمنية أمام كنيسة الله التي اقتناها بدمه.

ويكون في ذلك اليوم أن حِمْلَهُ يزول عن كَتِفك، ونيرَهُ عن عُنقِكَ، ويتْلَف النِّير بسبب السَّمَانةِ.

عندما يجري المسيح حاملاً رئاسته على كتفه. ويقول "**من أراد أن يأتي ورائي يحمل صليبه كل يوم...**" تكون هذه هى دعوة الحرية وتحرير كتف الإنسان من نير عبودية الشيطان وسلطان الخطية الذي أرهق الإنسان زمانًا هذه مدته.

نير الخطية يُتلف بنير المسيح... وناموس الخطية استبدل بناموس روح الحياة في المسيح يسوع.

شكرًا لله الذي أعطانا النصرة والغلبة بربنا يسوع المسيح وحرر العبيد قائلاً: "إن

حرركم الابن بالحقيقة تصيرون أحرارًا".

وجد في كتاب الترجوم "أن الأمم ستنكسر أمام المسيا. لأنه سيُميت المنافق بنفخة فمه".

٢٨. "قد جاء إلى عَيَّاث. عَبَر بمجرُون. وضَعَ في مِخْمَاش أمتِعَتَهُ.
٢٩. عبروا المَعبر. باتوا في جَبَع. ارتعَدت الرَّامة. هرَبت جبعة شاول.
٣٠. اِصهلي بصوتك يا بنت جَلِّيم. اسمعي يا ليشَةُ. مسكينة هى عَنَاثوث.
٣١. هَرَبت مدمِينَةُ. احتمَي سكان جِيبيمَ.
٣٢. اليوم يَقِف في نوبَ. يهُزُّ يدَهُ على جبل بنت صِهيون، أكَمَة أورشليم".

برؤية نبوية سابقة للأحداث يسجل إشعياء تقدم العدو الأشوري متجهًا نحو أورشليم ويراه لم ينتهج الطريق العادي الشمالي ولكن يتقدم مخترقًا المدن في خط يتقاطع مع أكثر من مدينة لكي يرعب أورشليم ولكي تصل أخبار الانكسار من المدن التي يمر بها إلى سمع أورشليم قبل أن يباغتها بجيوشه.

هى إذًا خطة للتخويف وإلقاء الرعب في قلب أورشليم أكثر من الواقع وكما كانت أخبار الشعب الخارج من أرض مصر في معية الله وبذراعه القدوسة... كانت أخبار تقدمهم تذيب قلب الشعوب.

هكذا يكون العكس في حالة التخلي يذوب قلب أورشليم داخلها من سماع صوت الولولة والنحيب والانكسار في المدن التي تتداعى ساقطة في قبضة ملك أشور.

ولكن العدو سيتقدم إلى أن يقف مقابل أورشليم ويهز يده على جبل بنت صهيون "جبل بيت الرب"... "جبل الاجتماع" وهذا يوضح أن هدف العدو كان أن يرتفع على الله كما أوضح حزقيال النبي أيضًا... وفيما هو في نشوة المنتصر وانتفاخ المتكبر يفاجأ بهلاك بغتة وبنفخة المسيا تهب عليه فتبيده وتقضي على كبريائه وتحطم عزه.

٣٣. "هوذا السيد رب الجنود يَقْضِبُ الأغصان برُعْبٍ، والمُرتَفِعو القامة يُقطَعون، والمُتشامِخُون ينخَفضون.

٣٤. ويُقطَع غَابُ الوعر بالحديد، ويَسقُط لُبنان بقدير".

قبل أن يمد يده على جبل بيت رب الجنود تأتي عليه هذه كلها.

تقضب الأغصان. يرعب، وقطع المرتفعين وخفض المتشامخين... وباختصار يتحقق لنا أن المسيا ابن الله الحي جاء لكي ينقض أعمال إبليس ويكسر جبروت الموت ويحطم قوته.